6me Année, No. 276 — Lundi - 17 - 10 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العدد ٢٧٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٥٧ — ١٧ أكتوبر سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـــــرس

صـفحة

١٦٨١ الصقر نحن به أولى ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٦٨٣ التعليم والعاطلون فى مصر : الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر
١٦٨٥ رجولة بأكرة . ... : الأستاذ عبداللطيف النشار ...
١٦٨٧ جورجياس لأفلاطون .. : الأستاذ محمد حسن ظاظا . ...
١٦٩٠ مكتبة الأسكندرية .. : الأستاذ خليل جمعة الطوال ...
١٦٩٣ فلسطين العربية ... ... : الدكتور حسن ابراهيم حسن
١٦٩٥ متى يوجد متقذ العرب : الآنسة فلك طرزى . ...
١٦٩٧ بين الشرق والغرب : لباحث فاضل ... ...
١٦٩٩ فردريك نيتشه ... ... : الأستاذ فليكس فارس .. ...
١٧٠٣ غزل العقاد .. .. : الأستاذ سيد قطب . ...
١٧٠٥ مائة صورة من الحياة .. : الأستاذ على الطنطاوى .. ...
١٧٠٧ محاكمة فرنسوا داميان : الآنسة مفيدة اسماعيل اللبابيدى
١٧١٠ شىء من فلسفة الموسيقى : الدكتور أحمد موسى .. ...
١٧١٢ التمثال الحى (قصيدة) : الأستاذ ابراهيم العريض . ...
١٧١٤ يالله لفلسطين ! » : الأستاذ أحمد فتحى . ...
١٧١٥ الدكتور زكى مبارك والشريف الرضى : القارئ —
مكتبة التلميذ ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
حول كلمة اللقاء ... ... : الأستاذ محمود حسن زناتى ...
١٧١٦ حول تيسير قواعد الاعراب : الآنسة أمينة شاكر فهمى —
من المرحوم زكى باشا إلى المرحوم الرافعى — تدريس
اللغة العربية فى فرنسا ... ...
١٧١٨ هكذا أغنى (كتاب) : الأستاذ اسماعيل كامل .. ...
١٧١٩ المسرح والسينما ... ... : . ...

الصقر نحن به أولى

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبنا فى « الرسالة » قبل عام كامل على التقريب مقالاً عن الحكيم الحاكم « مازاريك » رئيس الجمهورية فى بلاد التشك والسلواق ختمناه بما يأتى :

« سيرة الرجل عبرة لا تنقضى ودروس لا تنفد . أولها : أن الفيلسوف لن يسلم من لوثة الحكم والسياسة ولو أضمر الخير وأسلف الجهاد الطويل فى قضايا المظالم والشكايا . وثانيهما : أن الديمقراطية لا تسلم فى وطن تختلف أجناسه ولغاته وأديانه وطبقات الحضارة فيه إلا على أساس الولايات المتحدة التى يستقل فيها كل فريق بالحكم والتشريع . وثالثها : أن أوربا الر... لا تزال كما كانت قبل الحرب الماضى غيلا تصطرع فيه ضوارى الأحقاد ويوشك أن يندفع بالعالم مرة أخرى إلى حرب، لا تؤمن لها عاقبة . وإننا على ما انتاب الديمقراطية من خيبة ، وما تعاورها من نقص وتقويض لا نزال على إيمان وثيق بأنها هى كهف السلام ومعقل بنى الانسان ، ومآل الحكم فى المستقبل البعيد إن لم يعجل لها النصر فى مستقبل قريب »

« فالدول الديمقراطية لا تبغى الحرب كما تبغيها الدول الدكتاتورية ؛ وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ،

لا يخشى منها على سلام العالم كما يخشى من إيطاليا ، وألمانيا ، واليابان والجمهوريات الروسية »

كتبنا هذا المقال على أثر وفاة مازاريك ، ودار العام والحوادث تثبت لنا أن كثيراً من المسائل الأوربية خليق أن ننظر إليه كأنها مسائل « محلية » نكترث لها في أوانها وقبل أوانها لنصبح على أهبة دائمة للقائها ، ثم تثبت لنا الحوادث أن الجمهورية التشكية لو بادرت إلى تعميم نظام الولايات المتحدة بين شعوبها الصغيرة لكان ذلك خيراً لها ، وإن كنا لا نظن أن أسباب الأزمة الدولية الأخيرة تنحصر في هذه الوجهة ، لتعدد وجهات المسائل الدولية عامة

ولا أدرى لم نشعر بالعطف على بلاد الفيلسوف مازاريك ونود لها الحياة والسلامة ؟ فلعل السبب الأول أنها هي بلاد الفيلسوف مازاريك وأنها « تشخصت » في مثال إنساني رفيع محمود العمل والأثر معروف في عالم الأدب والحكمة معرفة الناس به في عالم السياسة والادارة والكفاح

ولعل أسباباً أخرى ترفد ذلك السبب الوجيه الراجح ، ونعنى بها الأسباب التي توجب العطف على كل شعب صغير مجاهد صبور يحمل من الأعباء فوق ما يطيق ، ولكنه لا يرزح بتلك الأعباء ولا يزال يعالجها بالحول والحيلة حتى يروضها ويمشى بها إلى غايته القصوى وهى أشرف الغايات ، لأنها غاية الحرية والثقافة والجمال

شعب مازاريك مثل جميل من أمثلة الجهاد الحسن في سبيل الحرية والقوة والجمال ، سلبته الدولة النمسوية سلطانه فلم يستسلم ولم يركن إلى الخنوع والمهانة ، وصنع ما هو أنبل وأكرم من ذلك لأنه جاهد في دفع الضيم فلم يقصر جهاده على المؤامرات والمشاغبات وحوادث النيلة والانتقام ، بل عمد إلى التعليم فأشاعه بين أبنائه حتى محا الأمية محوا قبل أن تفلح الشعوب القوية في محوها من بلادها . ثم لم يكفه ذلك حتى أدرك أن الكتابة والقراءة لا تكفلان وحدهما النبلة والحرية للشعوب الضعيفة ، فأضاف إلى سعيه في نشر التعليم سعيا آخر في نشر الفتوة بمعناها الأصيل ، ومعناها الأصيل في عرفنا أن يكون الانسان شهم النفس شهم الجسم شهم الذوق سريعا إلى ما يجمل ويحسن بأدب الانسان وذوقه واستجابته لدواعى الحياة

تلك هي حركة « الصقر » التي شاعت في أوربا باسم « الصكل » وقلنا في عنوان هذا المقال إننا نحن أولى بها من غيرنا ، لأننا نرجح أن أصل الكلمة عربي أخذته أمم السلاف من جيرتها الأسيويه إذ نقلوا الصيد والفروسية قديما من سادات العرب يوم غلبة سلطانهم على أواسط آسيا وتخوم بلاد المغول ، فأصبح اسم الصقر مصحفا عندهم باسم « الصكل » وهو عنوان الحركة الرياضية الكبرى في أمتى التشك والسلواق

رأس هذه الحركة المباركة هو « تيرش » المعظم أوحاها إليه أنه زار بلاد الاغريق في أواسط القرن الماضي فراعته المثل العليا التي أقامها الاغريق الغابرون لجمال الفتوة وصحة التكوين ، وعلم أن نهضة الكتابة والقراءة لا تغنى أمته عن نهضة النفس من طريق رياضة البدن وثقافة الذوق ونشاط الشعور ، فأجمع النية الصادقة على إنهاض قومه في هذا الطريق ، وأعد عدته لتنظيم الفرق الصغيرة فالفرق الكبيرة لتدريب الرجال والنساء من سن الطفولة إلى السبعين وما بعد السبعين ، وما يعنى بذلك التدريب إلا أن يجعل الجسم على أصح وأصلح مثال يستطاع ، فلا يترك العضو من الأعضاء بقية من كمال يستطيع بلوغها إلا استوفاها على نمط جامع بين الصحة والقوة والنسق والجمال . وأوجز ما نلخص به فلسفته الرياضية أنها رياضة جسدية موسيقية ، لا تقتصر على سهولة الحركة الجثمانية بل تقرن بها الرشاقة والوزن والتنغيم

وكان « غاريبالدى » الايطالى يومئذ قدوة المجاهدين في سبيل الأوطان ، فلما عبر « تيرش » بالبلاد الايطالية راقه أن يستعير « القميص الأحمر » للفرق الجديدة وجعل لها قبعة عليها ريشة صقر فمن هنا اسم « Sokol » أو الصكل الذى عرفت به هذه الحركة الرياضية الكبرى ، وهو لفظ « الصقر » بلغة التشك والسلواق

قال روبرت بونج في كتابه « شاب ينظر إلى الديار الأوربية » رواية عن رجل في الستين يصف الحركة وهو يشاهدها في ميدانها ببراغ :

« معظم الأعضاء يتصرفون لماشهم نهارا ويتلقون تدريبهم الرياضي أثناء الليل . . . . ولا حاجة بنا إلى الرياضيين المحترفين

لأننا نؤمن بأن الديمقراطيين ينبغى أن يكون لهم من العقيدة الديمقراطية أن يبذلوا اختيارا وطواعية جزءا من وقتهم لتجميل أحوالهم الجسدية »

واستطرد الكاتب إلى بيان موارد الانفاق على الحركة فاذا هي قائمة على جيوب أعضائها والقسط اليسير الذى تؤديه كل منتم إليها ، أما معونة الحكومة فهى شيء طارئ وهى مع ذلك ستنقص عاما بعد عام تبعا لتفاقم الأزمة المالية واشتدادها على كاهل الحكومة والأمة

وقال ويكهام ستيد الكاتب المشهور بصف عرض «الصكل» فى شهر يوليه الماضى ، خلاصته : « أى جندي لايأخذه منظر ثمانية وعشرين ألفاً من الشبان الأصحاء الأشداء يمشون فى ميدان مازاريك الذى تبلغ مساحته خمسة وأربعين فداناً فيتفرقون إلى أماكنهم جميعاً لابتداء التدريب الايقاعى فى خلال ربع ساعة ، ثم ينتهى التدريب فينصرفون كرة أخرى ثمانين صفاً كل ستين فى صف واحد خلال اثنتى عشرة دقيقة . وإننى لأشك فى استطاعة جيش منظم أن يعبر خمسة وأربعين فداناً جيئة وذهوباً وتدريباً فى سبع وعشرين دقيقة دون أن يقع فيه شيء من الارتباك والعجلة . أما النساء وقد أدين تدريبهن قبل الرجال وبلغن ستة عشر ألفاً عداً فقد شارعن الرجال فى النشاط والنظام »

حركة الصقر هذه نحن أولى بها وأحوج إليها ، وقد رأينا نموذجاً منها فى « إصلاحية الأحداث » التى تشرف عليها مصلحة السجون ، فرأينا كيف راض المئات من الأطفال والصبية على الحركة الايقاعية فى وقت واحد بغير قيادة معلم أثناء الأداء، وعلمنا أن تعميم هذه الحركة مستطاع كل الاستطاعة لمن يبذل الجهد الذى بذلته مصلحة السجون فى تدريب أطفال نسميهم مجرمين

وماحاجتنا إلى حركة الصقر؟ إنها دفاع جنود يحمون الأوطان، بل هى كذلك وهى فوق ذلك عدة حياة لدفاع آفات كثيرة هى أشد خطراً من غارات الأعداء

عباس محمود العقاد

التعليم والعاطلون في مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر أحد رجال التربية الناابين الذين يسيرون إلى غايتهم من التعليم مستقلين على ضوء الفكرة والخبرة والاطلاع ، فهو لا ينفك منذ ٢٤ عاماً معنياً بمسائل التربية فى مصر باحثاً فى عللها ناقداً لنظمها فى صراحة وجرأة . وقد توفر أخيراً لدرس هذا الموضوع الخطير، وهو معضلة الساعة ؛ ثم تفضل فوعد بنشره تباعا فى الرسالة . المحرر

نشأت فى قري الريف بين حقول الطبيعة وأحراجها مغرما بها ، فى أحضان الحرية وبين ضلوعها هائما بها ، ثم دفعت بي الأقدار بعد الدراسة فى الكتاب إلى المدرسة الابتدائية التى جذبتنى إليها جذبا بطربوشها وملابسها الافرنجية . ذلك الطربوش اللون بلون الورود ، الذى كان لا يزال يتعشقه أبناء الريف منذ ظهر فى الوجود ، والذى بمجرد أن لبسته أنا وإخوانى تأكدنا من المستقبل السعيد ، فى ساحة الدواوين ، بين الموظفين . فكان ذلك الغرض الذي يملأ نفوسنا حافزا لكل منا إلى الاجتهاد والجد . وبالرغم مما صدمتنا به المدرسة من ضغطها وشدتها وعصبها وجبروتها وحدتها ، مما بغض الجميع فيها فقد كان الغرض السامى يدفعنا أبداً إلى الأمام ، إلى العمل المتواصل، إلى المدارس الثانوية من غير أن يتخلف منا إلا القليل . أما من تخلف فقد وجد السبيل إلى العمل أو إلى مدارس أخرى سهلا ميسورا، ثم كان النجاح فى البكالوريا فكان الفرح الشامل

وألحقنا بين الحفاوة والتبجيل ، وعظيم الدعاء والتهليل ، بالمدارس العليا يحدونا الأمل الكبير إلى المستقبل الحافل الذى لا يحلم به أحد من مواطنينا الريفيين . فلما حصلنا على الشهادة العليا تخطفتنا الأيدى إلى العمل الحكومي ، فولجناه نشيطين جادين . فكان منا المعلمون والأطباء ، والمهندسون ورجال القضاء، الذين ملأوا دواوين الحكومة بأعمالهم ولم يجد العمل الحر سبيلا إليهم ، وبالرغم مما لقيناه من تكريم فقد بقيت فى نفوسنا للمدرسة مرارتها ، ودامت فيها ذكريات ضغطها وشدتها . ولكن ذلك كله هان بجانب ما أوصلتنا إليه من نتيجة طيبة . فتلخص فى سهولة الحصول على وظيفة حكومية

عملت بين جدران المدارس بعد ذلك زمناً طويلا كنت أحس فيه أن المدرسة التي عملت فيها تلميذاً والتي عملت فيها مدرساً والتي عملت فيها ناظراً لم يطرأ عليها شيء محسوس من التغير ولم يتطرق إلى روحها شيء من التجديد أو التبديل؛ فهي لا زالت تسير على نفس الوتيرة القديمة، مليئة بنفس الروح القديمة، يحس تلميذها إذا ما دخلها بانقطاعه عن العالم وما فيه إلى شبه سجن غير محبوب إن لم يوصف بأنه مكروه، ولكن الجميع ظلوا يكبتون عواطفهم إزاءها لما تجلبه من خير الوظيفة إلى طلابها بعد نيل شهاداتها، وظلت المغريات القديمة تدفع الناس دفعاً للسعى إليها

وبدأت بعد ذلك تظهر مشكلة المتعطلين من المتعلمين بعد أن امتلأت الدواوين بالموظفين وكنت قد تبينت بالبحث حالة المدارس في البلاد الأخرى، وما تسير عليه من أنماط وأساليب، تغاير ما نسير عليه في مدارسنا فرفعت بعض التقارير إلى وزراء المعارف في نقدها مبيناً عيوبها، واستمر ضغط حملة الشهادات على الدواوين حتى اكتظت بهم، وأصبحت المدرسة لا تجد سبيلا لتصريف الخريجين من أبنائها، مما اضطربت له أفئدة المسئولين. وأخذ ألم المتعطلين يحز في نفوسهم ونفوس أهلهم، ويثبط من همم الناشئين المتعطلين، ويضغط في الوقت نفسه على الحكومة ورجالها ضغطاً شديداً. ثم أخذ الحال يزداد سوءاً يوماً بعد يوم. أما المدرسة التي كنا نتحمل قديماً شدتها، ونخضع لما فيها من ضغط وإكراه، في سبيل غرضها الأسمى، فقد أصبحت اليوم لا غرض لها تسعى إليه إذ أحس كل من فيها بزوال غرضها القديم الذي كانت تتجه بكليتها إليه، هذا فوق شذوذها عن الطريق السوى لبعدها عن الحياة وما يجرى فيها. وهكذا ساءت الحالة إلى مدى بعيد بين جدران المدارس نفسها، فانحط مستوى التعليم كما انحطت الأخلاق فيها؛ ذلك إلى العطل الذي ضرب أطنابه بين خريجيها مما أصبح خطره يهدد المجتمع في نظامه وحياته، ذلك المجتمع الذي لم يضن بإنفاق الملايين من الجنيهات على مدارسه في سبيل الانتفاع بمجهودات أبنائها

إزاء كل ذلك لم أجد بداً من هذا البحث الذي أنشره في الرسالة تباعاً واضعاً فيه نتائج بحثي وعصارة تجارب حياتي تلميذاً ومدرساً وناظراً بعد جهاد طال أكثر من خمسة عشر عاماً بيني وبين أنصار القديم كنت فيه هدفاً لسهامهم نظراً لما كنت أتمتع به في كتاباتي وأقوالي من حرية الرأي التي نشأت عليها. وها أنذا اليوم أتقدم بالصراحة التي عرفت بها إلى أمتي العزيزة وعلى رأسها عنوان الشباب وقوة العزيمة مليكها المحبوب المتفاني في حبها المتحمس لنفعها وخيرها — بخطط جديدة للاصلاح متمشية مع الروح الجديدة في عالم التربية متضمنة لأحسن الآراء والمذاهب من غير أن أتعرض للتفصيل، ليمحص تلكم الآراء ذوو العقول والأفكار الناضجة في سبيل تنفيذ الصالح منها. ولست أدعى أن الخطط الجديدة التي تضمنها هذا البحث كلها سليمة لا غبار عليها، لأني أعتقد أني لست معصوماً من الزلل، ولكني أقرر أنني بحثتها ومحصتها وأعتقد أن الأخذ بها ينقل عالم التعليم والتربية عندنا من حال إلى حال، لأنه يمنح المدرسة الحياة الحرة المستمدة من حياة مصر الحرة، كما يضع أمامها هدفاً تسعى إليه عن طريق العمل المفيد المثمر. إذ أنها بحالتها الحاضرة تنبو عن أصول التربية والتعليم، كما تتجافى مع الآراء الحديثة فيهما. ولا تتنافى فقط مع ما يجرى في مثلها من البلاد الأخرى، بل تتنافى أيضاً مع ما يقع في بلادنا بين معمنا وبصرنا في المدارس الأجنبية. فلا يليق باستقلالنا ونهضتنا وحريتنا أن تبقى المدرسة أسيرة لروح التمسك بالقديم. تلك الروح التي قد اضطررت للتنديد بها لما رأيته من وقوفها حجر عثرة في طريق الاصلاح حباً في الراحة والاطمئنان، أو احتفاظاً بالنفوذ والسلطان. ولو أن المسألة وقفت عند هذا الحد لهان الأمر، ولكنها تمتدت إلى الاضرار بمصالح اللايين من فتيان هذه البلاد وفتياتها، بل إلى المساس بمصالح أمة يخشى على نظامها الاجتماعي من الانهيار. من أجل ذلك تقدمت راضيا بتحمل كل تضحية، راضيا ببذل كل مرتخص وغال في سبيل مصلحة بلادي وإخلاصي لمليكي، بالعمل على إنقاذ هذا الوطن من خطر العطل المحدق به والذي شعر به الجميع، وخشيه الجميع، وأشفق على مصر منه الجميع، راجيا ألا تذهب صرختي هذه أدراج الرياح كما ذهبت صيحاتي السابقة. آملا أن يقرأ المسئولون عن مستقبل هذا البلد هذا البحث بروية وإخلاص وأن يبحثوه ويمحصوه. فاذا اقتنعوا بكل ما فيه أو ببعضه عملوا على تنفيذه وإلا فاني أكون قد أرضيت ضميري وأديت واجبي. هذا وان كنت قد اضطرني البحث إلي ذكر بعض مساوئنا وأخطائنا، فانما فعلت ذلك ليكون في حاضرنا عبرة لمستقبلنا. وإذا كنت كذلك قد اضطررت إلى التنديد بروح الاحتفاظ بالقديم في ديوان المعارف وفي معاهد التعليم، فإني أرجو ألا يفهم من

ذلك إلى أوجه النقد إلى أشخاص معينين ، لأن البحث العلمي فوق الأشخاص . وما كان نقدى إلا فى سبيل الصالح العام وهو موجه إلى سياسة عامة أنتجت نتائج سيئة هامة ؛ خصوصاً أننا نعلم أن الأشخاص يذهبون ويزولون ، أما السياسة العامة فبقاؤها أدوم وأثرها أعظم فى الأبناء والأحفاد ، بل وفى مرافق البلاد . ويكفينى أن يشاركنى فى ذلك مندوبو مصر فى مؤتمر الاتحاد العالمى لجمعيات التربية فى جنيف سنة ١٩٢٩ فى تقريرهم عن هذا المؤتمر الذى طبعته وزارة المعارف سنة ١٩٣٦ وقد جاء فيه (ص ٣٥) فى سياق الكلام عن المعرض الذى أقيم فى هذا المؤتمر ما يأتى : « وإنى أقول آسفا إننا لم نعان فى الحياة أشد من مرارة المقارنة بين ما نحن عليه من تأخير وجمود وما وصلت إليه تلك الأمم المتمدينة الناهضة . وأمر من ذلك أن نعد أجيالا طوالا لابد من أن تمضى قبل أن نلحق بهم مالم يهم أولياء الأمور فينا بثورة على القديم ، ونهضة تحطم الأغلال المتيقة ، وتقلب نظام التربية الحديثة عندنا من أساسه فتدب الروح الجديدة فى التعليم من كل نواحيه » «يتبع» عبد الحميد فهمى مطر

١١ ـ ٣٩

كما رآنا غيرنا

رجولة باكرة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

كان السائح الأمريكى « بايارد تيلور » شاعراً كاتباً ذا ولع بالأسفار وقد ولد فى « بنسلفانيا » عام ١٨٢٥ . وألف كتبا كثيرة فى وصف رحلاته منها كتاب يصف فيه رحلة إلى السودان ومصر ومنه نقتطف هذه القطعة

وقد عين سفيراً للولايات المتحدة فى برلين وعاش مدة طويلة هناك وتوفى عام ١٨٧٨ وهو يشغل هذا المنصب الرفيع

قال :

من بين الموظفين المصريين الذين عرفتهم فى الخرطوم سيد كان قد نفاه إليها والى مصر . وهذا السيد المنفى هو رفاعة رافع الطهطاوى ، وهو من ذوي الثقافة العالية والذكاء المتوقد ، وقد أحزنه كل الحزن إبعاده عن وطنه وعن أهله إلى هذا البلد السيء الجو الذى عانى فيه ألما شديداً بسبب الحمى المنتشرة فيه

وكان لا يعرف إلى أى مدى تطول مدة نفيه . وقد قضى إلى الوقت الذى لقيته فيه عامين فى المنفى خاضعاً لرقابة شديدة تفرض عليه ألاّ يتسلم خطاباً إلا عن طريق الحكومة التى تفض رسائله لتعرف ما بها . وقد امتنعت عليه بهذه الوسيلة صلته بأصدقائه فى مصر ممن يخشون عواقب تلك الرقابة . ولم يكن فى وسعى أن أعرف السبب الذى نفى من أجله ، وقد يكون هو نفسه غير عالم بسبب هذا النفى



سفير الولايات المتحدة فى بيت رفاعة رافع الطهطاوى

وليس فى البلاد الشرقية انتخابات عامة ولا للشعوب الشرقية رأى فى اختيار حكامها ، فكل من بها من الحكام يعينهم الولاة وفق أهوائهم ولا يستطيعون الاحتفاظ بمناصبهم إلا كما يريد الولاة . وقد يدفع التنافس أو الحسد واحداً من الباشوات إلى إهلاك خصم له برئ غافل عن سبب الكيد . وربما كان سبب الكيد لا يعدو أن يكون أحدهم طامعاً فى منصب الآخر فيوغر عليه صدر الوالى حتى ينفيه

وقد اكتسب هذا السيد حبى وعطفى العميقين فى الليالى التى كان يقضي فيها السهرة معى ومع القنصل الأمريكى . وكان يطمئن إلى مجلسنا فيشكو لنا ما يعانيه من الظلم . أما حين نلتقى به في منزل أى موظف مصرى فقد كان يحرص على عدم الخوض فى هذا الموضوع خشية أن تنقل عنه أحاديثه إلى الحكومة

ولما كنت أجنبياً غريباً فانه لم يخطر ببالى قط أن فى وسعى أداء أية خدمة لرفاعه باشا[1] . وكنت مزمعاً العودة إلى بلادى

(١) اعتاد هذا المؤلف أن يلقب رفاعه رافع بلقب باشا والذى أعرفه أنه « بك »

عن طريق مصر . ولكن معرفتي باللغة العربية محدودة وإلمامي قليل بعاداتها ونظمها . وفضلا عن ذلك فقد كنت أرجو ألا أطيل بها المكث إلا ريثما أعبرها إلى الشاطيء

على أنني كنت أسير وإياه في الطريق في ليلة من ليالي الأخيرة في السودان فقال لي همساً إن لديه حديثاً يريد أن يسره إلي

ومع أن الليلة كانت مقمرة فقد كان معنا خادم وطني يحمل المشعال، فأمره الباشا بأن ينصرف ، فاختفى عن نظرنا بعد قليل في منعطف ضيق من منعطفات الطريق، وكان الصمت مخيماً ولا أصوات الرياح إذ تتخلل أطراف النخيل البارزة رؤوسها فوق أسوار الحدائق

وقال الباشا وهو يمسك بيدي : « لنا أن نتحدث الآن بضع دقائق دون أن يسمع أحد حديثنا ولي رجاء لديك »

قلت : « على الرحب إن كان في وسعي »

فقال: « إنك لن تتكلف مشقة ما، ولكنك ستؤدي لي مع ذلك خدمة جليلة . أرجو أن تحمل عني خطابين إلى مصر، أحدهما إلى نجلي في طهطا ، والآخر إلى المستر موري القنصل الانكليزي في القاهرة ، ولا أستطيع ائتمان التجار المصريين على هاتين الرسالتين ، فلو فضتا وقرئتا لطال أمد نفيي في هذه البلاد سنين عدة . أما إذا تفضلت بإيصالها فان أصدقائي بمصر سيعرفون السبيل إلى معاونتي وربما تمكنوا من إعادتي إلى وطني

فوعدته بأن أسلم الخطابين إلى صاحبيهما يداً بيد . فبدا الانشراح على وجه الباشا وودعني عند باب القنصل الأمريكي

وبعد أيام قليلة استأنفت رحلتي ، وكان من أيسر الأمور أن أتصل برفاعة باشا وأن يسلمني الخطابين دون أن يتنبه أحد إلى ذلك ، ووضعتهما في حافظتي مع سائر أوراقي ولم أتحدث في هذا الشأن مع أي إنسان في الخرطوم

وكانت رحلتي إلى مصر طويلة شاقة يستغرق مني وصفها أياماً لو حاولت ذلك ، فقد قضيت في السفر شهرين قبل أن أتمكن من تسليم رسالة الباشا إلى ابنه المقيم في طهطا بصعيد مصر على بعد بضعة أميال من مجرى النيل . ويحيط بها سهل جميل يغمره ماء النيل مرة في كل عام

وبعد تحريات قليلة وصلت إلى منزل رفاعة باشا ولكن لم يؤذن لي بالدخول لأن السيدات المصريات لا يسمح لهن باستقبال الأجانب . وكان بالمنزل قاعة واسعة مفتوح بابهـا على الطريق ، فأجلست فيها ريثما تذهب جارية سوداء لتأتي بابن الباشا من المكتب؛ وجلس معي في تلك القاعة خادمي الأمين . وقد تسامع أهل البلد أثناء وجودي في الانتظار أني آت من الخرطوم وأني أعرف الباشا فأتوا من كل حدب ليسألوني عنه ، وكانوا جميعاً في نهاية الأدب والود ، واغتبطوا لما طمأنتهم عليه كما لو كانوا جميعاً من أفراد أسرته

وبعد ربع ساعة عادت الجارية يتبعها ابن الباشا ومعلمه في المكتب ، وكان هذا المعلم قد صرف جميع الطلبة وأغلق المكتب وجاء ليسمع أخبار الباشا .

كان عمر هذا الصبي أحد عشر عاماً ولكنه أطول قامة ممن هم في مثل عمره . وقد ابتسم حين رآني ابتسامة عذبة، ولولا إلمامي ببعض الإلمام بعادات هذا الشعب لمددت إليه يدي وأجلسته على ركبتي وطوقت خصره بذراعي وتحدثت إليه بغير تكلف ، ولكني رأيت أن أصبر حتى أرى كيف يكون سلوكه نحوي .

حياني في وقار وجلال كما لو كان رجلا له سمت وأبهة ؛ ثم تناول يدي فأدناها من قلبه ثم من شفتيه ثم من جبينه ؛ ثم اتخذ مجلسه فوق ديوان عال بجانبي .

وأعاد تحيتي وهو في مجلسه وصفق ثلاثاً ، فجاءت جارية أمرها بأن تعد لي القهوة ثم قال : « كيف صحتك ياصاحب السعادة ؟ » فأجبته : « بخير والحمد لله »

قال : « هل لديكم أواس لي ؟ مروا تطاعوا ! »

فقلت : « أشكر لطفك، وليس لدي إلا تحيات أحملها إليك من أبيك الباشا ، وخطاب منه وعدته بأن أسلمه إليك يداً بيد »

ودفعت إليه بالكتاب فوضعه على قلبه ثم قبله وفض غلافه. وبعد قراءته التفت إلي وقد توردت وجنتاه وسطعت عيناه وقال : « أتأذنون لي ياصاحب السعادة بأن أسألكم هل معكم كتاب آخر ؟ »

قلت : « نعم ولكني سأسلمه لصاحبه كذلك يداً بيد »

قال : « أصبت . ومتى تصلون إلى القاهرة ؟ » فقلت : « الأمر يتوقف على حالة الرياح ولكني أظن أن المدة لا تتجاوز سبعة أيام »

وأسر الصبي بكلمات إلى معلمه ، وبدا على وجهيهما الاغتباط . . ولم يعد كلانا إلى التحدث فى هذا الموضوع .

وجيء بشراب لا شيء فيه سوى عصير الليمون المحلى وماء الورد . ثم جيء بالرمان وسألني الصبي أن أشرفه بالبقاء لديه سائر اليوم

ولولا أنني كنت أرى وجهه وهو يحادثني لظننت أني أحادث رجلا ، فقد كان هذا الصغير من الجلال وقوة الأسر كعظماء الرجال

وكان الناس حولنا كأنهم معتادون مشاهدة هذا النضوج السابق لأوانه فى الأطفال . وكنت مضطراً إلى أن أتخذ حياله من الاحتشام والكلفة كما لو كان هو حاكم المدينة . على أن ذلك لم ينتقص من محبتى إياه ووددت لو عرفت موضوع حديثه مع معلمه . ولست أشك فى أنهما كانا يحاولان تدبيراً لاعادة الباشا من منفاه

وبعد ساعتين أو ثلاث ساعات عدت إلى السفينة التى جرت بى فى بطء إلى الشمال .

نهض الصبي عند نهوضي ومشى بجانبي إلى آخر حدود المدينة والناس على أثرنا فى نظام وعند وصولى إلى السفينة حياني مودعاً مثل تحيته إياى مسلماً وقال : « اسأل الله أن يجعل رحلتكم سعيدة يا صاحب السعادة »

وقد بدا لى أن منظر استقباله ووداعه والوقت الذى قضيته وإياه — لقد بدا لى أن كل ذلك كان قطعة من ألف ليلة ، فانى إن نسيت شيئاً فلا أنسى تلك الذكرى الجميلة البارزة . أما بالنسبة لهذا الشعب فما من شك أن هذه الحالة هى حالتهم العادية التى تتكرر كل يوم

عبد اللطيف النشار



جورجياس

أو البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٣ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(١)

ط — (مجيبا بولوس الذى اعترف بأن الطاغى ظالم) وما دام الأمر كذلك فلن يكون أحدهما أسعد من الآخر ، لا هذا الذى نجح بظلم وصار طاغياً ، ولا ذلك الذى أسلم نفسه للعقاب ، لأنه لا يستطيع أحد الشقيين أن يكون أسعد من أخيه ! ! ولكن أشقاهما — مع ذلك — هو من فر من العقاب وصار طاغياً ،

(١) رأينا « بولوس » فى العدد الماضى يخرج « سقراط » بمثلين شهيرين أحدهما مثل « أرشليوس » الذى رأى السعادة فى قتل من هم أحق منه بالعرش ثم اغتصاب الملك وإشباع الشهوات ، والآخر مثل ذلك « الظالم » الذى أمسكنا به وعذبناه ثم أحرقناه حيا كيما نحول بينه وبين الظلم من ناحية ، وكيما نحقق له سعادة العقاب كما يدعى سقراط من ناحية أخرى . وسنرى اليوم كيف يمهد سقراط لنقد ما أراده « بولوس » من هذين المثلين الحرجين اللذين يصلحان لقياس كثير من حوادث حياتنا الراهنة إليهما « المعرب »

فترى أى معنى لذلك يا بولوس ؟ أتضحك ؟ أمن الأساليب الجديدة في المناقشة أن تهزأ وتسخر مما يقال دون أن تقدم أى سبب لهزئك وسخريتك ؟

ب — ألا تعتقد أنك تكون قد نُوقِضتَ إطلاقاً ياسقراط عند ما تقول بأشياء لا يقرها إنسان؟ سائل بالأحرى أى مساعد تشاء !

ط — لست من عداد السياسيين يا بولوس ، وقد شاء القدر أن أكون فى العام الماضى عضواً بمجلس الشيوخ عند ما سادت قبيلتى بدورها فى الجمعية العمومية ، فلما وجب علىّ أن أتكلم عن السؤال المعروض[1] ضحكتُ ولم أدر ماذا أفعل ، فلا تطلب منى اليوم إذاً أن أعرف رأى الساعدين ! وإذا لم يكن لديك شهادة أفضل من شهادتهم فدعنى آخذ مكانك كما اقترحت عليك منذ لحظة ، ودعنى أسائلك كما أفهم المساءلة ! ذلك أنى لا أستطيع أن أدعم تأكيداتى إلا بشاهد واحد هو نفس من أناقش معه دون أن أعنى بالعدد الكبير من الناس ! وبعبارة أخرى إننى أعرف أن أحمل شاهداً واحداً على الكلام ولا أعنى بمناقشة العدد الكبير فى شئ !! فلنر إذاً إذا كنت توافق على أن أسائلك فتجيب !. لقد أقنعت نفسى بأنك وبأنى والجميع نرى أنّ ارتكاب الظلم أكثر شرا من احتماله ، وأن احتمال العقاب أقل شرا من الفرار منه !

ب — ورأى أنى لست فى جانب هذا الرأى ولا أى إنسان آخر ! . فهل تفضل أنت احتمال الظلم على ارتكابه ؟ ؟

ط — أنا وأنت والجميع يفضلون ذلك !

ب — هيهات ، فلا أنا ولا أنت ولا أى إنسان يفضل هذا !

ط — ألا تريد أن تجيب ؟

ب — نعم بالتأكيد لأنى مشوق جدا إلى ما تستطيع أن تقول !

ط — إذا كنت تريد أن تعرف ما أستطيع قوله فأجبنى كما لو كنتُ بدأت فى مساءلتك : ما هو أفدح الشرور فى رأيك يا بولوس ؟ أهو ارتكاب الظلم أم هو احتماله ؟

ب — إنه احتماله — فيما أرى[1] — !

ط — ولكن أجبنى : أيهما « أقبح » ارتكابه أم احتماله ؟

ب — ارتكابه

ط — وإذا فالارتكاب أفدح الشرور ومادام هو «الأقبح»؟

ب — كلا — على الاطلاق !

ط — ألا تعتقد أنى أفهم — فيما أرى — أنه لاخلاف بين الحسن والجميل من ناحية ، والردئ والقبيح من ناحية أخرى ؟

ب — كلا بالتأكيد !

ط — ولكن ماذا عساك قائل فى ذلك ؟ أتطلق الجمال على كل الأشياء الجميلة من أجسام وألوان وأشكال وأصوات وأعمال من غير موجب ؟ ولنبدأ مثلا بالأجسام ، ألا تقول إنها جميلة بسبب استعمالها نظرا لما نستمده منها من نفع ، أو بسبب لذة خاصة يثيرها منظرها فى نفوس الشاهدين ؟ أم هل لديك أسباب غير هذه تحملك على إطلاق « الجمال » على الأجسام ؟

ب — كلا — ليس لدى !

ط — أوليس الأمر بالمثل فى كل الأشياء الجميلة من أشكال وألوان؟ ألسنا نسميها جميلة بسبب لذة خاصة تثيرها ، أو بسبب نفع تقدمه ، أو بسبب الاثنين معا ؟

ب — بلى .

ط — أوليس الأمر بالمثل فى الأصوات وفى كل ما يختص بالموسيقى ؟

ب — بلى .

ط — وهو بالمثل أيضا فى القوانين والأعمال ، إذ الجميل منها ليس بجميل قط إلا بسبب لذته ، أو نفعه ، أو هما معا ؟

ب — ذلك صحيح فيما يلوح .

ط — أوليس الأمر بالمثل فى جمال العلوم ؟

(١) يشير سقراط هنا إلى اليوم الذى رفض فيه أن يصوت بموت القواد التسعة رغم موافقة المجلس كله على ذلك . وقد خسر اليونان بموتهم مجموعة من أمهر القواد « المعرب »

(١) أرجو أن يدقق القارىء الكريم فى المناقشة التالية لأنها غاية فى الأهمية « المعرب »

ب — بلى بغير ما تناقض . وإنك لتعرف «الجميل» تعريفا فذا بقولك إنه الحسن واللذيذ .[1]

ط — وإذا فستعرف « القبيح » تعريفا حسنا بالضدين « الرداءة » و« الألم » ؟

ب — حتما .

ط — وإذا فيكون أحد الشيئين الجميلين « أجمل » من الآخر بسبب تفوقه عليه في إحدى الصفتين أو فيهما معا ؟ : وأعنى بهما اللذة ، أو المنفعة ، أو هما معا !

ب — بالتأكيد .

ط — ويكون أحد الشيئين القبيحين « أقبح » من الآخر بسبب ما يجلبه من ألم أكثر أو شر أفدح . أليست هذه نتيجة محتومة ؟

ب — بلى .

ط — فانظر الآن ماذا قلنا توا عن الظلم المرتكب أو المتحمل ، ألم تقل أنت أن «الأردأ» هو « احتمال » الظلم ، وأن «الأقبح» هو ارتكابه[2] ؟

ب — قلت ذلك حقا !

ط — وإذا كان ارتكاب الظلم « أقبح » من احتماله ، فانه لايكون كذلك إلا لأن أحدهما يزيد على الآخر — أى الارتكاب على الاحتمال — بالألم أو الشر السيئين ، أو بهما معاً . أليس ذلك ضرورياً بالمثل ؟

ب — بلى ، دون تناقض .

ط — وإذاً فلنر أولا إذا كان الظلم المرتكب يسبب من الألم أكثر مما يسبب الظلم المتحمل ، وإذا كان من يرتكبونه يتألمون أكثر مما تتألم فرائسهم !

ب — ذلك مالا أراه باستقراط

ط — وإذاً فليس الظلم المرتكب يزيد على الظلم المتحمل بالألم ؟

ب — كلا بالتأكيد !

ط — وإذا كان لايزيد عليه « بالألم » ، فلن يزيد عليه أيضاً « بالشر والألم » معاً ؟

ب — واضح أن لا .

ط — فيبقى إذاً أنه يزيد عليه بالآخر وحده ؟ .

ب — نعم !

ط — أعنى بالشر ! ؟

ب — كما يلوح !

ط — ومادام ارتكاب الظلم يزيد على احتماله « بالشر » ، فاذاً يكون الارتكاب « أردأ » من « الاحتمال » .

ب — ذلك واضح .

ط — أوليس مسلماً به من أغلب الناس ، أولم تعترف لي بنفسك سابقاً ، أن ارتكاب الظلم « أقبح » من احتماله ؟

ب — بلى .

ط — وقد رأينا أيضاً أن الارتكاب هو « الأردأ » ؟ ؟

ب — يلوح ذلك .

ط — والآن أتفضل ماهو أكثر رداءة وقبحاً على ماهو أقل منهما في ذلك أم لاتفضله ؟ ؟ أجب من غير تردد يابولوس فلن يصيبك أدنى سوء ، وأسلم نفسك للحوار بشجاعة كما تسلمها للطبيب ، وأجبني بنعم أولا . !

ب — كلا باسقراط فأنا لا أفضله

ط — وهل هناك إنسان يفضله ؟

ب — يلوح أن لا ، وعلى الأقل بعد ذلك التدليل !

ط — وإذاً فقد كنت محقاً في قولي إنه لا أنا ولا أنت ولا أي إنسان آخر ، يفضل ارتكاب الظلم على احتماله ، ما دام أن ذلك شيء أكثر « رداءة » !

ب — ذلك واضح .[1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) يلاحظ أن بولوس يحل محل كلمة « النافع » التى استعملها سقراط كلمة « الحسن » وهي تشمل معنى الحسن والنفع معا . وسنرى أن سقراط يستعمل في رده بالمثل كلمة « ردىء » محل كلمة « ضار » لأنها تشمل الرداءة والضرر معا « المعرب »

(٢) بهذا التحليل العميق الذى لم يعرفه الشرق فى فلسفته يوقع سقراط بولوس فى التناقض ويقوده إلى التسليم برأيه « المعرب »

(١) وهكذا يثبت سقراط بتحليله الفائق أن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله . وسنرى فى العدد القادم كيف يثبت القضية الثانية ، قضية تحمل العقاب خير من الفرار منه . « المعرب »

من مشاكل التاريخ

مكتبة الأسكندرية

تأسيسها ورواية احراقها

للأستاذ خليل جمعة الطوال

(بقية المنشور في العدد الماضي)

قال الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار : ولكن متى علمنا أن عبد اللطيف البغدادي الذي كان قبل أبي الفرج بزمن قليل قد ذكر أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الأسكندرية كانت التبعة عليه دون أبي الفرج لاحتمال أن يكون أبو الفرج قد أخذ هذه المقالة عن عبد اللطيف البغدادي الذي رمى بهذه الجملة بغير سلطان أتاه . ولم يقل لنا من أي تاريخ أخذ ولا من أي مصدر استقى . والظاهر أنه حين علم بأنه كان في هذا المكان مكتبة عفى الزمان على أثرها ، افترض أن الذي دمرها إنما هو عمرو بن العاص، وربما شجعه على ذلك أقوال العامة أو نحو ذلك فظن الأمر حقيقة واقعة . . .

وقال الدكتور « غوستاف ليبون »[1] نقلا عن « لوفيك لالان» الذي ناقش مسألة إحراق مكتبة الاسكندرية مناقشة علمية مختصرة : إن أول مؤلف ذكر حريق العرب لهذه المكتبة هو عبد اللطيف الطبيب العربي البغدادي الذي توفي سنة ١٢٣١ م أي بعد ٥٩١ سنة من وقوع تلك الحادثة . أما من خصوص حريق مكتبة الاسكندرية المزعوم فانه همجية وعداوة للمدنية ، منافية لأخلاق العرب على خط مستقيم ، حتى إنه يمكن أن يسأل الانسان نفسه كيف أن قصة كهذه قبلها منذ زمن طويل كثيرون ممن يعتد بعلمهم ؟ وقد كذب العلماء هذه القصة في زمننا مرات كثيرة فلا نرى حاجة في العودة إلى تكذيبها ، ولا أسهل من الاستشهاد على ذلك بإيراد أقوال كثيرة جلية تثبت أن المسيحيين كانوا أعدموا الكتب الوثنية التي بالأسكندرية ، قبل العرب بزمن طويل وكسروا كل التماثيل أيضاً . ويفهم من ذلك أنه لم يكن بالأسكندرية بعد ما يحرق .

(1) Le Bon. Gustave: La Civilisation des Arabes. Paris 1884.
وكتاب : تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن .

وأما أبو الفرج الملطي فقد نقل روايته عن جمال الدين القفطي وكان قد توفي قبله بنحو أربعين سنة تقريباً في حلب أي عام ٦٤٦هـ وقد ذكرها هذا في نسخة خطية في دار الكتب المصرية مكتوبة سنة ١١٩٧ م من كتاب له اسمه تاريخ الحكماء وإليك نص روايته :

« وعاش (يحيى النحوي) إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر والأسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له مع النصارى [1] فأكرمه عمرو ورأى له موضعاً وسمع كلامه في إبطال التثليث فأعجبه، وسمع كلامه أيضاً في انقضاء الدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم يكن للعرب بها أنسة ما هاله . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكاد لا يفارقه ، ثم قال له يحيى يوما « إنك قد أحطت بحواصل الأسكندرية وختمت على كل الأجناس الموصوفة الموجودة بها ، فأما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه ، وأما مالا نفع لكم منه فنحن أولى به ، فأمر بالافراج عنه» فقال عمرو : « وما الذي تحتاج إليه ؟ »قال : كتب الحكمة في الخزائن الملوكية ، وقد أوقعت الحوطة عليها ، ونحن محتاجون إليها ، ولا نفع لكم بها . فقال له : « ومن جمع هذه الكتب [2] وما قصتها ؟ » فقال له يحيى : « إن بطلوماوس فيلادلفوس من ملوك الأسكندرية لما ملك حبب إليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن فجمعت وولى أمرها رجلا يدعى بابن مرة (زميرة) وتقدم إليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في أثمانها وترغيب تجارها ففعل واجتمع له من ذلك في مدة خمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتاباً

«ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة ، أترى بقي في الأرض من كتب العلم ما لم يكن عندنا ؟ فقال له زميرة « قد بقي في الدنيا شيء في السند والهند وفارس وجرجان ، والأرمان

(١) كان يوحنا قسيساً قبطياً من الأسكندرية اشتهر عند المسلمين باسم (غرماطيقوس) أي النحوي ، وكان يعقوبيا يعتقد بالتثليث ، ثم رجع عنه فأسقطه الأساقفة من منزلته ، وقد توفي كما أثبت بطلر قبل فتح العرب لمصر بأربعين سنة تقريبا .

(٢) راجع : تاريخ الحكماء القفطي ، ومختصر الأول لأبي فرج

وبابل والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك وقال له: دم على التحصيل . فلم يزل على ذلك إلى أن مات ، وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم الى وقتنا هذا » . فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له « لا يمكنني أن آمر بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب » . وكتب إلى عمر وعرفه بقول يحيى الذي ذكر واستأذنه ما الذي يصنعه فيها فورد عليه كتاب عمر يقول فيه « وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى ، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالى فلا حاجة إليها فتقدم باعدامها » فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية وأحرقها في مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها فذكروا أنها استنفدت في مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب[1] » اهـ

هذه هي الرواية التي نقلها أبو الفرج عن القفطي فيما بعد فتداولتها الألسن على علاتها ، وروج لها الشعوبيون على أنها حقيقة لاغبار للشك عليها . وقد دحضها كل من جيبون ، ولوبون وبطلر ، وسيديو ، وشبلي النعمان[2]

ولقد أعجبنا في دحض هذه الفرية دفاع الدكتور حسن ابراهيم حسن[3] إذ يقول: « ومما يدل على اختلاق رواية أبي الفرج ومن تقدمه ما ذكره بطلر ، إذ حلل هذه الرواية تحليلا لايسع القارئ إلا أن يحكم ببراءة عمرو بن العاص مما نسب إليه ، والاعتراف بأن مكتبة الاسكندرية لا بد أن تكون قد فنيت قبل الفتح الاسلامي بمدة طويلة ؛ فذكر نقلا عن « اميانوس مارسينوس » أن السبعمائة الألف مجلد التي كانت تحتوي عليها مكتبة الاسكندرية قد أتلفت إتلافاً تاماً حين حوصر « يوليوس » قيصر الروم بالاسكندرية كما تقدم ، وممن أيد هذا الرأي أورازيوس حيث اعتقد أيضاً أن هذه المكتبة قد دمرت في حريق يوليوس المذكور

وأضاف « بطلر » : « ومن سوء الحظ أن مثل جواب عمر قد ورد أيضاً بخصوص إحراق الكتب في فارس » . وقد علق الأستاذ « برى » بقوله : « إن شعور المسلمين نحو كتب الوثنيين الفرس يختلف اختلافاً تاماً عن شعورهم نحو كتب النصارى إذ كانوا يكرهون أن يتعرضوا لما فيه اسم الله[1] »

وإذا سلمنا جدلا بأن احتراق مكتبة الاسكندرية قد حصل فعلا كما رواه أبو الفرج الذي ذكر أن الكتب قد وضعت في سلات وزعت على الأربعة آلاف حمام ، وأنها ظلت تسخن مياهها ستة شهور ، فان هذا الخبر على مايظهر لنا عبارة عن أكاذيب وأضاليل لا حقيقة لها أصلا ، إذ لو قصد تدمير هذه الكتب حقيقة لأمر باحراقها في الحال ، ولم يكن عمرو بالرجل الساذج الذي يسمح بهذه الكتب تحت رحمة أصحاب الحمامات ، فلا يصعب بذلك على « يوحنا » أو أي إنسان سواه أن يستولى على قدر عظيم منها بثمن بخس ، ولدى يوحنا وغيره من عشاق الكتب ما يكفي لتحقيق هذه الأمنية وهي انتشال عدد كبير منها من مخالب النيران . على أن ماجاء برواية أبي الفرج من أن هذه الكتب كفت الحمامات ستة أشهر مما يثير الدهشة والاستغراب في نفوسنا لأنه لو قدر لكل حمام مائة مجلد في اليوم على الأقل (وعددها أربعة آلاف حمام) لبلغ هذا العدد الذي أحرق في ذلك الوقت (٧٢٫٠٠٠٫٠٠٠) مجلد وهو ضعف عدد مجلدات المكتبة الحقيقي بنحو ١٠٣ مرة تقريباً . ويستدل مما ذكر أن السبعمائة الألف مجلد لم تكن لتكفي الأربعة الآلاف حمام ساعة واحدة لاستة شهور[2]

وزاد على ذلك أستاذنا اسماعيل رأفت بك مؤيداً استبعاد وقوع هذا الأمر بقوله : « إن الكاغد بقطع النظر عن الرق وإن كان يصلح لا يقاد النار ، إلا أنه لا يصلح لبقائها متقدة أصلا »

وقد برهن بطلر على أن يوحنا النحوي الذي ذكره أبو الفرج في روايته لم يكن حياً يرزق وقت فتح الاسكندرية ، سنة ٦٤٢ م لأن يوحنا هذا كان قد اشترك مع «ديوسفوروس» و «جايوس» و « ساويرس أسقف أنطاكية » في الكتابة ضد مجمع خلقدونية، ويكون قد عاش في أوائل القرن السابع الميلادي : أي قبل سنة

(١) لم يذكر أحد هذه الرواية قبل البغدادي ، والأغرب ألا يذكرها الطبري والمسعودي ، وابن خلدون ، واليعقوبي وابن الأبكر ... الخ

(٢) و (٣) : تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن

(1) Bury. J. B: History of the later Roman Empire. London, 1889.

(٢) فتح العرب لمصر لبطلر (بالانكليزية)

٦٤٢ م . ولا بد أن يكون قد مات قبل دخول عمرو الاسكندرية بثلاثين أو أربعين سنة ... الخ. وختم بطلر كلامه قائلا : لا أزال أقول إن احراق العرب لتلك المكتبة غير محتمل جداً ، لأن العرب لم تدخل الاسكندرية إلا بعد استيلائهم عليها بأحد عشر شهراً . وقد ذكر في عهد الصلح (مادة ٤ ، ٦) أنه يجوز للروم أن يحملوا إلى بلادهم كل أمتعتهم ، وفي غضون هذه المدة كان البحر مفتوحاً ولم تكن أمامهم أية صعوبة لحملها إلى بلادهم ، وما كان يصعب على يوحنا (بفرض وجوده) وأمثاله أن يقتنوا هذه الكتب قبل أن تقع الاسكندرية نهائياً في أيدي العرب . انتهى كلام الدكتور حسن ابراهيم حسن(١)

هذه هي المصادر والروايات الهامة التي يتعلق بها الشعوبيون في الحط من كرامة الفاروق والعاص ، وفيما سلف أن فصلناه الكفاية للدلالة على ضعفها وفسادها ، وأما بقية الروايات فانها قد أخذت عنها وتنطوي تحت حكمها

وأما عبارة حاجي خليفة وهي : « ويروى أنهم أحرقوا ماوجدوه من الكتب في فتوحات البلاد » فلا يصح أن تؤخذ حجة على العرب لأنه لم يذكر فيها اسم هذه المكتبة ، ولا أشار إليها ، ولكنه أراد أن يقول إن المسلمين في أول فتوحهم لم يعتنوا بالعلم لتعلقهم بالوحي وتخوفهم من تسلط العلوم الأجنبية عليهم وعلى عقولهم .

ولقد اعتاد الناس إذذاك أن يقاوموا الأديان الجديدة المخالفة لعقائدهم ، فلما جاءت المسيحية قاومتها الوثنية مقاومة عنيفة ، وأوقعت بأتباعها مرّ العذاب ، وشديد التنكيل ، فلما ظهرت هذه عليها كانت لها الصاع صاعين ، وبادلتها الشر بمثله ، وكان المسيحيون يعتقدون إذ ذاك أن هدم المعابد والهياكل الوطنية شرط لازم لتأييد المسيحية ، ولذلك فان أباطرة الروم عندما تنصروا كان أول ما أمروا به هدم هياكل الأوثان في مصر وإحراقها بما فيها من الكتب . ولما كانت مكتبة الاسكندرية من آثار الوثنيين ومؤلفاتهم ، فليس هنالك مايبرر حرقهم إياها.

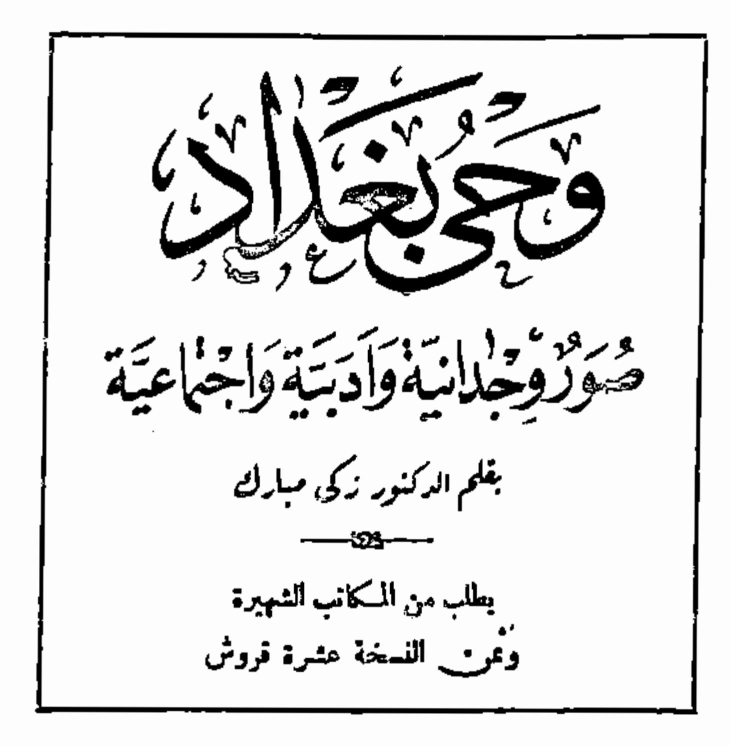
ولم يقتصر هذا الأمر على الكتب الوثنية فقط بل تعداه إلى جميع الكتب غير المسيحية ، فقد أحرق الكردينال كسيمنس جميع كتب المسلمين في غرناطة وكانت ثمانين ألف مجلد ، وأحرق الأسبانيون غيرها عشرات المكاتب العامة في القرن السادس عشر كرهاً للعرب ، وفي القرن الثاني عشر أتلف الصليبيون معظم مكتبة طرابلس ، وكذلك يوم أمر ضجيل باحراق كتب(١) دار العلم فيها وكانت تقدر بأكثر من مائة ألف مجلد .

ونحسب بعد هذا أن قد وفينا الموضوع حقه من البحث ، في دحض هذه الفرية الشائنة التي لفقها بعض الشعوبيين على العرب تلفيقاً ، وأننا قد بلغنا بالقارىء محجة الاقناع . وسنتقدم في مقال آت لدحض فرية أخرى عن الاسلام لا تقل عن هـذه شناعة . وسنواصل نشر هذه البحوث في الرسالة المزيزة حتى يتم طبع كتابنا في الدفاع عن الاسلام ، وبذلك نكون قد وضعنا تحت متناول القارىء ما يساعده على مجابهة الخصوم ، ونكون قد أدينا لهذه الأمة العزيزة بعض ما أخذنا على عاتقنا عمله ، وأنجزنا بعض ما سجلته علينا الرسالة العزيزة من الوعود القاطعة .

خليل جمعه الطوال

(١) ذكرت المعلمة الفرنسية (دائرة المعارف جـ ٣ ص ٦٤٨ أن مجموع المؤلفات التي كانت بالسيرابيوم قد أحرقها النصارى في القرن الرابع للميلاد

(١) راجع : الاسلام والحضارة العربية جزء ١ لمحمد كرد على .



على ذكر مؤتمر القاهرة

فلسطين العربية

للدكتور حسن إبراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

إن أبرز ما يتسم به الإسلام هو التسامح إزاء من يعيشون معه أو في كنفه ، وتلك جِبِلّة في العربي أنّى كان ؛ غير أن خصومه لم يقدروا فيه ذلك التسامح حق قدره ، ولم يحملوا للعرب هذه المكرمة التي يظهرونها في كل حين مهما اشتدت بهم الأمور ، وحاقت بهم الخطوب

واليهود في ادعائهم فلسطين وطناً قومياً لهم إنّما يتنكّبون السبيل السويّ والصراط المستقيم ، فما كان لهم في عصر من العصور وطن قومي حتى يجوز لهم اليوم التشبّث به. وخير لهم أن ينضووا تحت ظلال الشعوب التي هم بينها . وأنّى لهم أن يعرفوا « الوطن القومي » وهم لا يعرفون الشعور القومي ، ولكنهم قوم غرقوا في العصبية الجنسية تقليداً فحسب ، فلا جرم إذا هم سعوا وراء مصالحهم قبل أن يفكروا في مُسَاوئة من هم بينهم، ولا غرابة — حين يبدو هذا منهم — أن تقف منهم جميع الدول الغربية موقف المضطهد المستنكر لأعمالهم ، ذلك لأنها أحست بوطأتهم وضررهم ، ورأت أنهم يتعصّبون لجنسهم لا لقومية فيهم ، فاليهودية اسم للدين لا للوطن ، على حين أننا إذا قلنا «العروبة» شخصت الأبصار والأذهان إلى الجزيرة العربية وأطراف العراق وبلاد الشام موطن الساسنة

لقد كتب الله على اليهود التشتت والتفرقة « وضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤا بغضبٍ من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » وكيف يريدون أن تكون فلسطين وطناً لهم وفي بلاد العروبة أنفس أبيّات لا ترتضي الذّل وتأبي الصبر على الهوان ؟ وكيف يريدون فلسطين وطناً لهم وهي مهبط المسيحية الغراء ، والأرض التي درج عليها عيسى عليه السلام ، وفيها مناسك النصرانية ؛ وهي الأرض المقدسة بعد الحجاز عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؟ قال (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله).

ولو رجعنا إلى التاريخ نستوحيه الخبر عنهم ، لرأيناهم لا يستقيم لهم أمر إذا التأموا ، فلقد كانوا حرباً عواناً على المسيح وأنصاره ، مؤيدين للظلم ولو [illegible] الحق

أما في الاسلام فقد حاربوه وناجزوه العداء وهو دين الوحدانية ، ولم يتورّعوا عن اتخاذ أية وسيلة لمحاربته ، وكانوا كثيرين في الجزيرة ، ولكن نصر الله نبيّه وأيّده بروحه ، وأمدّه بكل ما حقق به للاسلام والعروبة الفوز المبين والنصر الباهر

نشب النضال بين اليهود والمسلمين منذ رحل النبيّ عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنوّرة ، واتخذها مركزاً لبث دعوته ، ورأوا في محمد (صلوات الله عليه) وفي دينه منافساً جديداً يوشك أن يقضي على نفوذ كل دين غيره ، فأبوا إلا محاربته، مع أنهم كانوا يستنصرون به على العرب في الجاهلية ويقولون « اللهم انصرنا بنبيّ آخر الزمان » فاذا سألهم العرب قالوا « إن نبيا قد قرب زمانه ، وسيكون لمن اتبعه العز والنصر إلى يوم القيامة » ويتوعدون العرب باتباعه والاستنصار به عليهم ، ولكن ما كاد محمد عليه السلام يذيع رسالته حتى ناصبوه العداء ، بعد أن كانوا يستفتحون به عليهم

وكان اليهود يكرهون محمدا والعرب والمسلمين ، وينظرون إليهم وإلى دعوته بعين الخوف والفزع من أول يوم طلع عليهم في أفق يثرب ، ثم زاد خوفهم منه وظهر حسدهم له عند ما رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فأخذوا يكيدون للاسلام والمسلمين بالدسّ والارجاف ، ثم بالمراء والجدل فيما يعلمون ومالا يعلمون؛ وإذا سئلوا عن شيء مما في كتبهم حرّفوا الكلم عن مواضعه وألبسوا الحق بالباطل ، ليكسبوا ولاء المشركين . وقد نعى الله عليهم ذلك فقال (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزلَ الله بغياً أن ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده) وكانوا يسعون في دين الله معاجزين لكي يفتنوا المسلمين عن دينهم، ويوهنوا عقائدهم بالشّبه والأباطيل، فقال تعالى (ودّ كثير من

أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق) ، كل هذا والنبيّ يصابرهم ويصبر عليهم ، ويسوّى بينهم وبين المسلمين فى المصالح ويحترم شعائرهم . ولو تركنا ما قاساه النبيّ والمسلمون من كيد اليهود لهم بكافّة الطرق ، بل وانتهازهم الفرص لقتل الرسول وتأليب العرب عليه وتحزيب الأحزاب ضده ، ونقضهم عهود المسلمين فى أحرج الأوقات ، لو تركنا ذلك كله ، ورجعنا إلى عهد ابراهيم الخليل عليه السلام لوجدنا انه لم تكن فلسطين وطنه الأصلى ، ومن هنا تنهار إحدى الدعائم التى يستمسك بها اليهود فى أحقيتهم لها؛ فقد ولد عليه السلام بالعراق ، ثم أمره الله تعالى بالدعوة إلى التوحيد ، ثم سار ابراهيم وزوجه سارة وغيرها ممن آمن بدعوته إلى حران ، ثم أتى مصر حيث لحق بهم حنق فرعون الذى أطلقه هو وزوجته بعد أن ظهرت على يد ابراهيم آيات النبوة ، ووهب سارة هاجر جارية لها ، وسار ثلاثتهم إلى الشام ، ثم شخص ابراهيم بهاجر وإسماعيل إلى بلاد الحجاز ، فأية دعوة لليهود بملكية فلسطين ؟ ولو أجيبوا إلى دعوتهم لحق لأهل بريتانى الفرنسية المطالبة بملكية انجلترا دون الانجليز ، لأنهم غزوا انجلترا وسكنوها ، حتى نسبت البلاد إليهم كما غزاها الرومان إلى سنة ٥٤ ق . م والانجليز والسكسون والدانيمركيون ، وغزاها كذلك وليم الفاتح النرمندي (من مقاطعة نرمنديا بفرنسا) وانتصر سنة ١٠٦٦ م فى موقعة هستنجس ، فهل يحق لفرنسا وإيطاليا والدانمرك أن يطالبوا بانجلترا اليوم لأنهم غزوها واستولوا عليها بحد السيف فى يوم من الأيام ؟ هذا على الرغم من أن اليهود لم يغزوا فلسطين ولم يفتحوها عنوة أو بحد السيف وإنما لجأوا إليها كما لجأوا إلى غيرها من بلاد العالم .

ولقد غلا اليهود فى زمن موسى عليه السلام واشتطوا ، ورأى فرعون مصر ذلك منهم فطردهم من بلاده ، فلاذوا بفلسطين وظلوا بها حتى أخرجهم الامبراطور الرومانى تراجان سنة ١٠٥ م وكانوا شرذمة عديمة النفع ، كبيرة الضر ، عاكفة على الشر ، مؤيدة للباطل . وإن التاريخ ليأبى إلا أن يعيد نفسه ، فقد نكل بهم الروم فى مصر فخلصهم العرب المسلمون من نيرهم ، واستعملوا سياسة التسامح التى عرف بها الاسلام ، كما نكل بهم القوط فى الأندلس ، وكانت نجاتهم على يد العرب ، فظهر منهم الأطباء والفلاسفة ورجال المال وأسندت إليهم مناصب الدولة .

وبعد سبعة عشر قرناً نرى هتلر وموسوليني يمثلان معهم نفس هذا الدور الذى مثله معهم من قبل فرعون مصر والروم والقوط وغيرهم . وكأن الصهيونيين لم يشعروا بضرورة وطن قومى لهم إلا بعد عشرات القرون ، ولكنهم قابلوا جميل العرب بالخيانة والعدوان عليهم ، لقد صدق الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله (اتق شر من أحسنت إليه) فأية جريرة ارتكبها العرب والاسلام حتى يكيد لهم اليهود وينتقموا منهم فى عرب فلسطين وهم السواد الأعظم من الأهلين ؟

إن فلسطين عربية منذ الجاهلية السحيقة ، سكنها الفلسطينيون وهم عرب ، حتى إذا كان الاسلام فتحها المسلمون بحد السيف ، فقد أنفذ أبو بكر الجيوش العربية نحو الشمال ، وعقد لأبي عبيدة (ووجهته حمص) وعمرو بن العاص (ووجهته فلسطين) ، ويزيد بن أبي سفيان (ووجهته دمشق) وشرحبيل بن حسنة (ووجهته وادى الأردن) .

ثم فتحت هذه البلاد فى عهد عمر بن الخطاب ، وأبى البطريق سفرونيوس تسليم بيت المقدس إلاّ لعمر نفسه ، فأتى الخليفة ، وتسلم منه مفاتيحها وأعطى لأهلها الأمان المعروف . وصفوة القول أن العرب فتحوا فلسطين ، وأن القتال قام بينهم وبين الروم المسيحيين أصحاب هذه البلاد دون اليهود الذين لم يكن لهم أى أثر فى هذه الفتوح .

وفى عهد آخر نرى فى فلسطين تلك الحروب الطاحنة ، وهى الحروب الصليبية التى قامت بين المسلمين والمسيحيين ، وأريقت فيها دماء كثيرة ، وأبلى فيها البلاء الحسن أمثال صلاح الدين والظاهر بيبرس والأشرف خليل ، فأين كان اليهود فى ذلك الزمن المفعم بالخطوب والويلات ؟ لعلهم كانوا فى غفلة ، أو لعلهم لم يكونوا فى هذه البلاد ، أو لعلهم لم يكونوا قد تفهموا بعد أساليب القومية والوطنية . ولو فكر الصهيونيون لرأوا أن من الخير لهم أن يعقدوا أواصر المودة وحسن التفاهم مع العرب ، وفلسطين اليوم تعتبر بحق حلقة من حلقات الاتصال فى الثقافة بين الشعوب العربية ، هذا إلى أن استقلال الصهيونيين بجزء من فلسطين يهدد مصر نفسها ، والعرب رأوا أن لا سبيل لتأمين الشام وفلسطين جنوباً إلا بفتح مصر ، كما اتبع هذه السياسة

قبلهم الكلدانيون والأشوريون والفرس والروم ، كذلك سيهددون مصر إذا هاجر إلى فلسطين يهود ألمانيا وبولندة وغيرها.

ومن ثم نرى أن الواجب يقضى على مصر حكومة وشعباً أن تنظر إلى مغبة الحركة الصهيونية بعين الحذر ، وأن تقف منها موقف الصراحة فى القول ، وأن يعمل الجميع متكاتفين متساندين مع إخوانهم عرب فلسطين وسائر أهالى البلاد العربية . ولامشاحة فى أن وقوف مصر هذا الموقف الحازم سيكون له أثره فى موقف العرب إزاء الحركة الصهيونية ، وسيعزز مركز مصر عند سائر البلاد العربية خاصة والشرقية عامة .

حسن إبراهيم حسن

متى يوجد منقذ العرب

للآنسة فلك طرزى

يحلو لى أحياناً استجلاء بعض أمور الحياة ومحاولة تحليل بواعثها وأسبابها ساعة أخلو إلى نفسي فى وحدة صامتة لا يكون رفيق فيها إلاَّ قلبي وضميرى ، لأن الساعة التى يجالس المرء فيها ضميره وينفرد به في ظلال التفكير والتأمل بعد ساعات يقضيها بين الناس تعد من أعظم ساعات الحياة نفعاً وأرفعها شأناً ، وأكثرها فائدة . فكم من ضال مخطىء كانت الوحدة سبيل هدايته إلى الحق والصواب ! وكم من نفائس علمية وفنية وأدبية لم يتحفنا بها رجال العلم والفن والأدب إلاَّ بعد ساعات بل أيام انفردوا خلالها بأنفسهم وضمائرهم ، فاذا ما اطمأنوا إلى صمت هذه الوحدة وسكونها ، أرسلوا أنفسهم على سجيتها فانطلقت من عقالها مجتازة الحدود ، مخترقة بنفاذ بصيرتها صميم الحياة ، تكشف الحجب عن حقائقها وترشدهم إلى كل موضع ومعنى من مواضعها ومعانيها ، فيستجلون بدقة خيالهم صورها ، ويدركون بقوة عبقريتهم دقائقها ، فاذا ما انتهوا إلى الادراك ، عرضوا صور الحياة على اختلاف ألوانها ومعانيها ، أمام أبصارنا واضحة صافية ، فيها دقة الفن وفيها دقة الأداء ، لأنهم حين استخرجوها من مكمنها وأخذوا فى توضيحها ، مزجوا ألوانها بألوان نفوسهم ، وأضافوا إلى معانيها من معاني قلوبهم ، وأفرغوا فيها الكثير من إحساسهم وشعورهم

وليس النضال الذى تخرج منه العبقرية إلى النصر بعد عراك طويل مستميت مع مختلف عوامل الحيرة والضعف التى تعترى نفس الفنان أحياناً بأصغر شأناً وأقل خطراً من نضال القائد الجبار الذى يقوم بتدريب فرقة من فرق الجيش فى ساحات الحرب .

أجل يحلو لى اللجوء إلى الوحدة فى ساعة من الساعات تحن نفسى فيها إلى الصمت وتشتهيه ، لكى يتسنى لى عصر قلبى ، فأستنزف منه قطرات من دم الصدق والاخلاص

لقد حدثتنى نفسى أن تأخر الأمة العربية عامة والسورية خاصة ناتج عن سبب خلوها من النهضة الفكرية أو بالأصح من التفكير الصحيح المستقيم الذي هو بمثابة مشعل ينفذ بحامله إلى خفايا حياة أمته ويتغلغل به فى جوانبها وزواياها ، ليطلعه على مختلف شؤونها ونقائصها ، ثم ليقوده بعد النفاذ والتغلغل إلى تشخيص الداء الأساسى الذى تشكو بسببه عللها ومرضها

خذ دليل ذلك أيها القارىء ، وبرهانه الساطع من تاريخ النهضة العربيــة فى غابر العصور ، وتأمل ضخامة الدرس الذى ألقته الأمة العربية على الانسانية جمعاء ، ثم تأمل فى سرعة الانقلاب الذى حدث فى تلك الجزيرة الحاطة بالجدب والقحط من كل نواحيها ، فاذا بها تصبح فى مدة من الزمن لم تبلغ نصف قرن ينبوعاً عذباً صافياً يؤمه كل ظامىء إلى معرفة الحق ، ليرتشف من مناهله ماء الثقة والايمان

أنظر كيف أن قريشاً لم تنهض من الجهل الذى كانت واقعة فيه ولم ترتفع من الدرك الذى انحطت إليه ، إلا حين خرج النبي المفكر البصير ، فبدد جهلها بآيات الكتاب المبين الذى حملته يمينه ، وأيقظ فى قلوبها الحق والايمان مشعل الحقيقة الذى كان نوره ينبعث من بين جوانحه فاذا به يجرى مجيباً ، وإذا به يغير حالاً بحال ، ويبدل أموراً بأمور ، فتمسى قريش التى كانت من قبل تغط فى غياهب الجهل والشرك ، كعبة المدنية والحق ، والمنارة التى ترشد الانسانية إلى سبيلهما

ثم انظر إلينا كيف نسير متلكئين فى طريق نهضتنا الفتية ونحن بعد بين هجعة ويقظة . . . بين ظلام الليل ونور النهار ، نحاول فى سبيل إيجاد الحل الموافق لقضيتنا المعقدة تتبع خطوات الأمم التى أحدثت الحرب العظمى تغيراً فى نظمها ومناهجها الدولى ، ناسين أو متناسين أن للعوامل الإقليمية والتاريخية والنفسية شأناً كبيراً وأثراً بعيداً فى اختيار نوع من أنواع الأنظمة الدولية المختلفة الذى يلائم أمة ولا يلائم غيرها ، إذ هى الدعائم الأولى ، بل القاعدة الأساسية التى يشيد عليها مؤسسو النهضات القومية بناء هذه القومية .

فلا النظام الشيوعى ولا النازى ولا النظام الفاشستى يلائم الأمة العربية : هى بحاجة إلى نظام خاص يكون مقتبساً من تاريخها ، ومستمداً من قوة الحاضر وواقعه .

القضية العربية تشكو خلوها من عالم مدقق حصيف يدرسها على ضوء المنطق ، درساً عميقاً مستفيضاً ، كما درس موسولينى القضية الإيطالية ، وهتلر الألمانية ، وكما درس من قبلهما الفيلسوف الاجتماعى مونتسكيو القضية الفرنسية فكان كتاب « روح الشرائع » الذى أخرجه بعد درس النظام الدولى الأنكليزى ، درساً مشبعاً بروح البحث والتمحيص ، ومشعلاً استنار به الفرنسيون واسترشدوا بقوانينه وشرائعه ، فجاء مطابقاً لأهوائهم ، ملائماً لرغائبهم ، محاكياً ميولهم محققاً آمالهم وأمانيهم .

الأمة التى فيها عبقرية وجوهر ، تخلق ذاتها ، وتوجد نهضتها بهذه الذات ، وتختار بفضل تفكيرها وجهودها نوع الأنظمة الذى يوافق طبيعة إقليمها ويلائم مستوى شعبها الفكرى والعقلى والأخلاقى . فهى إذن فى غنى عن تقليد هذا النظام وذاك المنهاج ، وهى فى غنى — إذا كانت شروط العبقرية متوفرة لديها — عن اتباع النظم الدكتاتورية التى خلقت الحرب الكبرى وجودها فى بعض أمم الغرب .

ولست أعتقد أن سمة التقليد هى سمة الأمة العربية التى برهنت وتبرهن الآن فى أجل وأقدس بقعة من بقاعها على أنها أمة فيها نبوغ وفيها عبقرية .

أمتنا شبيهة بتلك النفس المضطربة الحيرى التى تحس فى أعماقها بحاجتها إلى الصديق العالم المخلص العطوف الذى يحنو عليها برفق ليسبر بعقله حقيقتها ، ويملك بقوة « سيكولوجيته » كل ناحية من نواحى خلقها ونفسيتها ، ويحبها بقلبه وجوارحه حباً عميقاً صادقاً لا يخالطه زيف يحوجه إلى سلوك طرق النفاق والتدجيل .

ويوم يعلن لها نجاه وجود هذا الصديق تستطيع هذه الأمة التعسة أن تنام قريرة العين ، لأنها سوف تستودع آمالها وأمانيها فى قلب وفى أمين ، تعلو بمشاعره النبيلة عن الخيانة والكذب ، ويترفع عن استعمال أحط الطرق والوسائل فى سبيل خدعها والسخر منها

فؤاد طرزى

منتخبات من بلاغة الغرب

الجزء الثانى

للأستاذ محمد كامل حجاج

... « ما فتئ الرجل فى حاجة إلى الملاطفة والحب ، وقد أرضعته أمه لبانهما ، منذ ظهر فى عالم الوجود ؛ فكانت ذراعها أول من أرجحته وخدرته من الملاطفة والمسح ، فأشرب فى قلبه الميل إلى الحب وفتور الهمة . فتراه إن تعس فى عمله ، أو كدر صفوه ، فى مقاصده ورزاياه ، حن إلى الحضن الدافئ وأناشيد الليل ، وقبل السحر ، والشفة الملتهبة بنار الحب البنوى التى كانت تنقض عليها شفته انقضاض النسر على فريسته . والشعر المنثور الذى كان يلتوى على جبينه . فإن مشى وتعب عاودته ذكرى المهد ، فتذهب نفسه حسرات . وكلما شب وبسل زاد خذلانه وقهره ، كالنهر ما كبر واتسع إلا وزاد اضطرابه وكثرت أمواجه .

« وحيا يكشر له القضاء عن أنيابه الحداد ، ويشهر عليه هو وما تنته وأظلته من العوالم حرباً يستعر لظاها ، ويشيب من هولها الولدان ، يضطر لأن يبحث له عن حضن يسترخ فيه بعد نصبه وتلة تكفكف ما انهمر من عبراته ، ولكنه قبل أن يتخلص من مصابه وأوصابه ، وما انهال عليه من صنوف الأحن تشن عليه غارة أخرى خفيه تحت غدراً وجبناً ، وتحتدم تحت ذراعه وفوق فؤاده وما أصلاها إلا المرأة وكل امرأة (دليلة) » ...

ألفريد دوفينى

بين الشرق والغـــرب

لباحث فاضل

قرأنا كما قرأ كثيرون غيرنا ما كتب فى الرسالة فى موضوع الغرب والشرق ؛ تتبعنا مناظرات كثيرة لفئة من الكتاب منهم العرب وغير العرب . وهذا الموضوع ليس حديث العهد بالجدل والمناظرة، فلطالما قام التفاضلُ بين الشرق والغرب على أن التفاضل فيما مضى قد قام على أساس جغرافى فى تقسيم العالم لأن لكلٍّ من العالمين عادات وطبائع تباين الآخر ولقد اتسع مدى هذا التباين حتى ألبس العقلية فى كل منهما مظهراً خاصاً تميزت به عن الآخر. فليس غريباً بعد هذا أن نجدَ مثل هذا الاختلاف ممثلاً فى كثير من أوجه الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية . وما مظاهر الحياة وطقوسها فى جميع بلدان العالم إلا صورة لشخصيات الشعوب التى نشأت فيها والتى اشتركت البيئة والتراث فى تكوينها

على أن هذا الاختلاف وإن شمل مناحى الحياة المتعددة وألبس العقلية مظهراً خاصًّا بها فلا نعتقد بأنه اختلاف أساسى فى العقلية ؛ إذ من الواضح أن طبيعة العقلية قد استوت فى تدرجها وقابليتها فى أصل جميع الشعوب . وذلك الاختلاف الذى نرى أثره فى منازع التفكير المتعددة يجب أن يرجع إلى بيئات تلك الشعوب وإلى المؤثرات التى قدّر لكل شعب أن يتأثر بها . فمن سكن اليمن من العرب غير من سكن الأندلسَ منهم ؛ فأوجه الحياة قد اختلفت فيما بينهما مع أنهما من أصل واحد .

فمن رجع إلى تراث الأندلسيين ثم نظر إلى تراث اليمنيين تبين له الفرق الشاسع فى كلّ شيء ، أفيكون هذا الاختلاف داعيا إلى شطر العقلية إلى شطرين الراجح منها للأندلسى والناقصُ لليمنى؟ ثم هل يعجز ساكنُ البادية عن مجاراة أعظم الأمم حضارة فى كل شئ ؟ إن هذا ليحملنا على تقرير الحقيقة وهى أنه ليس فرق أساسى بين طبيعة العقليات جميعا . وعلى هذا فان الصور الذهنية لكل شعب يغلب أن تكون مرآة للشكل المتكون من تفاعل خصائص ذلك الشعب التاريخية مع البيئة

أما القابلية العقلية والقدرة الفكرية فلا يحكم على مدى كل منها بمجرد النظر إلى طبيعتها فى زمن واحدٍ وعصر منفرد . ذلك لأن العقلية تخضع كثيرها إلى مؤثرات تختلف قوة وضعفا . ونسبب العقلية من كل ذلك أن تنزع فى كثير من الظروف منازع شتى تباين الأصل والطبيعة ، فتراها تتلون بلون المؤثر إن ضعفت بالنسبة له، أو تراها تلون المؤثرَ إن قويت عليه ، أو تراها تمتزج معه إن تعادلا منزعاً وقصداً وغاية . وهذه هى الحقيقة الواضحة التى نلمحها فى ثقافات الشعوب المتعدّدة

أتيتُ بهذه المقدمة لا لأبحث فى نشوء العقليات وتطوّرها فهذا أمر لا قدرة عليه إلا لمن أوتى القدرة على تفهم ثقافات الأمم جميعاً وإرجاعها كلها إلى الصور العقلية والذهنية التى صدرت عنها وهذا بعيد على مَن يحاوله . ولكننا رغبنا أن نظهر ببساطة أن منازع التفكير لاتدعو إلى تفاصيل فى العقلية، ثم هى بعد هذا لا تبيح للكاتب أن يفاضل بين الشرق والغرب فيقرّر حدوداً قاطعة بينهما لأن العقل لا يعرف الحدود القاطعة الحاسمة

وقد درّج الكتاب على تقرير عقلية للشرق وأخرى للغرب؛ وذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فقرروا طبيعة كل من هاتين العقليتين وأن الواحدة منهما لاتقبل إلا المظاهر الفلانى ولا تتلون إلا بلون خاص . وهم بقياسهم المظاهر الفكرية لهذه العقليات قد طبقوا هذا القياس نفسه على الشعوب فتفاضلت بسبب ذلك

هذه ملاحظة أساسية استخلصتها من بحث للدكتور إسماعيل أدهم فى موضوع الشرق والغرب المنشور فى الرسالة (٢٥٩ ، ٢٦٠) ولست أقصد فى هذه الكلمة أن أناظرَ الكاتب فى هذا المبحث فان الوصول إلى حد حاسم فى هذا الشأن بعيد الوقوع . ولكن بعض الحقائق التى تضمنها بحثه المذكور تفتقر إلى تدقيق؛ ثم هو بعد هذا لم يشأ أن يستند فى النتيجة التى توصل إليها إلى الحقائق التاريخية فأورد بعضها ونسى أو تناسى الآخر . ولقد أحسن الدكتور صنعا فى أن دعا إلى مناقشة ما أتى به . ولا زلنا نرغب معه فى أن تجلو الأقلام كثيراً من الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع فننصف الشرق والغرب وننصف بها الفكر العربى من كثير مما أصابه وهذا مما لا يرتكز على حقيقة

***

(أولاً) تحديد لفظي الشرق والغرب ، فقد حرنا حقيقة في جلاء ما قصده الكاتب في هذين اللفظين . فهو تارة لا يرجعه إلى أساس جغرافي في تقسيم العالم إلى بلدان في قوله «إن مانعنيه باصطلاح الشرق والغرب لا يقوم على تقسيم العالم من شرق وغرب في تقويم البلدان » ثم نراه مرة أخرى يقف عند هذا الحد فلا يظهر لنا ماعناه بهذا المصطلح فيقول « إنما ترجع التفرقة عندنا إلى ما نلمسه من طابع ذهني للغرب ومنزع ثقافي للشرق » وبعد هذا تبقى كلتا الشرق والغرب مجهولتي المعنى والتحديد . على أننا مع هذا نستطيع أن نبين ما رمى إليه الكاتب من وراء هذا المصطلح وإن جاء ذلك متداخلاً مضطرباً .

فعلى فرض أن (الغرب) مصطلح علمي يدل على شيء أو أشياء معينة فقد أراد أن يثبت بأن ما يدل عليه هذا اللفظ إن هو إلا العقل الحر الذي لا يتقيد بالروحانيات وما إليها ، في قوله : « إن في الشرق استسلاماً محضاً للغيب وفي الغرب نضالا محضاً مع قوى الغيب »

ثم إن الغرب يعني العقل المتفلسف لأنه « يبدأ من عالم الغيب وينتهي للعالم المنظور . والغرب بعد هذا يعني العقلية العلمية التي « تأخذ بأساليب الاستقراء والمشاهدة إلى جانب أسلوب الاستنتاج والنظر » والغربُ يعني أيضاً « تحكيم العقل في محاولة تنظيم الصلات بين أفراد المجموع البشرى »

وأخيراً «ن الانسان في نظر الغربي » قادر على تغيير القدر له عن طريق معرفة النواميس المحكمة في وجوده »

وأما الخالق (الذي خلق هـذا الانسان) فهو مقيد بهذه السنن والنواميس، وإرادته (أي الخالق) مقيدة بنظام هذا الكون وأنماله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار »

في معنى الشرق قد أدرج مايعكس مدلول الغرب؛ فله العقل المقيد بالعقيدة ، وله الجمود الفكرى « في أن تكون العصور الوسطى صورة من الصور الشرقية» . والعصور الوسطى هي عصور مظلمة عمت فيها الفوضى في مهامه الجهل

إلى هنا أحسن الكاتب صنعاً . ولو أنه لم يتعد مدلول هاتين اللفظتين كما « تصورناه » لكان بحثه (بحق) أوفى مايكتب في بحث مظاهر العقليات . ولكنه رغب في قرارة نفسه أن يتعدى هذا المدلول وأن يكشف عن نياته الصادقات عن الشرق والغرب فتراه أكسب العقليات الصفة الشعبية . فاليونان من الغرب ؛ وكذا أهل أوربا في عصور النهضة والنشاط الفكرى . أما أوربا في غير تلك العصور فليست من الغرب . فهي في عصر النور غربية وفي عصر الظلام شرقية مع أن الشعوب التي سكنتها في كل من العصرين لم تختلف في عنصرها ولا في جنسها .

والعرب كذلك «في رأيه» عقليتهم العلمية ترجع للغرب لأنهم أخذوا أصولها عن فلاسفة اليونان ، أما روحانيتهم فهي للشرق لأن الشرق منبع الأديان وكل مافيها روحاني الطبيعة والمظهر . وسبب هذا التباين الذي اعتبره أساسياً أن العقلية الشرقية ابتدأت بالاعتقاد الى الخالق ثم انتهت بالطبيعة . والعقلية الغربية بدأت بالطبيعة وانتهت في الخالق . ثم هو لايوضح متى بدأت كل من العقليتين الأولى في اعتقادها بالخالق، والثانية في بحثها عنه عن طريق الطبيعة . ونحن لا نطالبه بهذا الايضاح ، فالثابت الذي لاشك فيه أن الغرب قد سبق الشرق في كلتا الناحيتين وما كان الغرب إلا مقلداً لها ومتأثراً بسببها .

ولنعد الآن إلى ماجاء في البحث المذكور الذي أوردنا أهم النقط التي تضمنها فيما مضى من السطور لتسهل مناقشتها .

(ثانياً) إذا كان الأساس العلمي هو القياس لتفاضل العقليتين ، وإذا كان البحث في نواميس الطبيعة والكون من المظاهر العلمية للعقل ، فهل للفاضل الكاتب أن يقرر لنا متى بدأ يتحسس الخالق في سر مخلوقاته . أهو الشرق مصرياً كان أو أشورياً أو كلدانياً أو عربياً أم بدأ به اليونانيون والرومان والسكسون ؟

إن العقلية اليونانية التي ادعى الكاتب أنها أصل البحث العلمي الذي أخذ عنه فلاسفة الاسلام ، هذه العقلية هل انفردت عن غيرها من العقليات المعاصرة أو السابقة في نهج الأسلوب العلمي ؟ وهل يعتقد أحد بأن من قيمة العقل العلمي المتفلسف أن يقف عند حد المنطق في وضع أصول الشك ولا يتعدى تطبيق هذه الأصول على حقيقة الوجود كي ينتهي إلى الخالق ؟ ثم نواميس الكون وسنن الوجود التي توصل إليها اليونانيون بأي خالق

ربطت وعلقت ؟ هل الجانب العلمي الذي أخذه العرب عن اليونان انتهى إلى الحد الذي انتهى إليه اليونانيون في تقريرهم بأن عشرات الآلهة تحكم عالمهم ، وأن هذه الآلهة تموت وتحيا وتقتل ؟ أم أن ذلك الجانب العلمي هو أن تكون الأسطورة ديناً لهم كما كانت إلياذة هوميروس دينا لليونان قروناً طويلة ؟

إذا كان الشرق قد أدخل العنصر الروحي في تقرير المعاملات بين الناس فهل يتنافى هذا مع العقل السليم ؟ وهل يتهم بعد ذلك بأنه قاصر ونحن نعلم علم اليقين بأن الشرق في اعتقاده الروحاني قد اتسع أفق تفكيره فشمل عالمين بينما قصر غيره عن ذلك فانتهوا عند حدود عالم واحد أخطأوا حتى في تحديده ؟

لقد نظر أخناتون في مصر إلى العالم الذي أحاط به فرأى أن لا بد لنواميس الكون من مدبر فنادى بالتوحيد ، وكان إيماناً جيلاً أن يبدأ ملك (كان ينتظر أن تسيطر أبهة الملك المادية على قوى تفكيره) بالطبيعة وينتهي للخالق

ونظر إبراهيم إلى الكواكب وكان قومه يعبدونها فرآها تأفل فشك في أن تكون رباً له ، وكان شكه داعياً لايمانه فقال في ذلك تعالى : (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين »

ونظر الأعرابي في الصحراء إلى ما أحاط به من شمس وقمر ونجوم فداخله الشك (وهو الساذج) في أن تكون معبوده وإلهه ، أو أن تكون مطلقة التصرف في شئون نفسها . وهذه الشمس ، وهذه النجوم تغرب ، وها نحن يموتون فلا يعودون . فمن يطلع الشمس ويغربها ، ومن يسطع النجوم ويبزها ، ومن يذهب بأوائك فلا يعيدهم ؟ أذلك الصنم في معبد الأعرابي ؟ أم تلك الأسطورة عن زفس وأبلون في مخيلة اليونان ؟

هذا الشك بدأ في الشرق وانتهى أهله إلى الخالق عن هذا الطريق . فأصول الشك وجدت في الشرق قبل أن يعلمها الغرب بآلاف السنين . وهذا الشك كان أهم الأسس التي قامت عليها النهضة الأوربية الحديثة . وبعد هذا فما الشرق وما الغرب ؟ ومن صاحب الخالق الواحد ، ومن صاحب الآلهة التي تقتتل ؟ وأين العقلية العلمية بينهما ؟

(البقية في العدد القادم) (* * *)

فردريك نيتشه (*)

للأستاذ فليكس فارس

— ١ —

« ما من مفكر أشد إخلاصا من نيتشه، إذ لم يبلغ أحد قبله ما وصل إليه وهو يسبر الأغوار في طلب الحقيقة دون أن يبالي عما يعترض سبيله من مصاعب لأنه ما كان ليرتاع من اصطدامه بالفجائع في قرارتها أو من الانتهاء إلى لا شيء »

« أميل فاكيه »

هذا هو نيتشه كما صوره فاكيه بعد أن درس عديد مؤلفاته واستعرض فلسفته . وقد جاراه بهذا التقدير أنصار نيتشه وخصومه من كل شعوب أوربا ؛ فانك لو استعرضت المؤلفات التي كتبها عنه المباقرة العديدون ، ومنهم من يعتقد بتخبطه على غير هدى، ومنهم من يرى وراء كل جملة من أقواله سورة لا تنجلي معانيها إلا للعقل النافذ والحس المرهف ، لرأيتهم قد أجمعوا على وصفه بالفكر الجبار المتجه إلى الحقيقة يطلبها وراء كل شيء حتى وراء المبادئ التي يقول بها

وما أجمع هؤلاء المفكرون إلا على الصواب في هذا الوصف الذي ارتضاه نيتشه لنفسه إذ قال :

« لا يكفي لطالب الحقيقة أن يكون مخلصاً في قصده، بل عليه أن يترصد إخلاصه ويقف موقف المشكك فيه، لأن عاشق الحقيقة إنما يحبها لا لنفسه مجاراة لأهوائه، بل يهيم بها لذاتها ولو كان في ذلك مخالفاً لعقيدته؛ فاذا هو اعترضته فكرة ناقضت مبدأه وجب عليه أن يقف عندها فلا يتردد أن يأخذ بها

إياك أن تقف حائلاً بين فكرتك وبين ما ينافيها ، فلا يبلغ أول درجة من الحكمة من لا يعمل بهذه الوصية من المفكرين

عليك أن تصلي نفسك كل يوم حرباً ، وليس لك أن تبالي بما تجنيه من نصر أو تجني عليك جهودك من اندحار ، فان ذلك من شأن الحقيقة لا من شأنك »

(*) أوحت العاطفة الاصلاحية النبيلة إلى صديقنا الأستاذ فليكس فارس أن يترجم الكتاب العالمي (زرادشت) للفيلسوف نيتشه الألماني وقد نشر جزءاً كبيراً منه في الرسالة ، ثم تعجله القراء فقدمه كله إلى المطبعة وصدره بهذا التمهيد البارع الذي ننشره اليوم شاكرين للاستاذ جهاده في سبيل الاصلاح والأدب

قال نيتشه بهذا المبدأ ، وعمل به وبالرغم مما يتجلى في تعاليمه من غرور وصلف ، فانه كان يسير في أبحاثه ولا هم له سوى استكشاف الآفاق فيورداليوم فكرة يكذبها غداً ، فكأنه بإنكاره الخير والشر لم يجد بداً من إنكار كل عقيدة ثابتة . فاذا أنت أردت أن تسير وراء هذا الفيلسوف طلباً للعقيدة فلا تتعب نفسك باللحاق به في مراحل يقطعها بخطواته الجبارة لأنه هو نفسه قد أصابه الخبل وبصيرته تائهة في استلهام الحقيقة واستقرائها

مَنْ قال لك :

« إنه لا مكتشف لحقيقة ذاته إلا من يهتف : هـذا هو خيري وهذا هو شري فيخرس الخلد والقزم القائلين بأن الخيرَ خيرٌ للكل والشرَّ شرٌّ للجميع »

من قال لك هذا ، لا تتوقع منـه أن يأتيك بشرعة تقوم مقام الشرائع التي يثور عليها

إن نيتشه المفكر الجبار الذي يفتح أمام الفرد آفاقاً وسيعة في مجال القوة والثقة بالنفس وتحرير الحيـاة من المسكنة والذل ، تائقاً إلى إيجاد إنسان يتفوق على إنسانيته بالمجاهدة والتغلب على العناصر والعادات والتقاليد وما توارثته الأجيال من العقائد الوهنة للعزم ، يقف وقفة الحائر المتردد عند ما يحاول إقامة مجتمع لأفراده المتفوقين ، بل هو يضطر إلى نقض أوليـاته القائمة على احتقار الرحمة والرحماء حتى ينتهي إلى قوله :

« إن العالم الذي يتفوق على الانسانية إنما يعود بها بعد هذا الجنوح إلى بذل حبه للأصاغر والتضمين »

وهكذا نرى زرادشت الداعي إلى تحطيم ألواح الوصايا جميعها وإلى إنكار الشريعة الأدبية لاقامة شرعة جديدة ما وراء الخير والشر يعود مفتشاً بين أنقاض الألواح التي حطمها على كلمات قديمة يجعلها دستوراً لانسانيته المتفوقة

إن نيتشه الذي ذهب إلى أبعد مدى في تفحص سرائر الانسان وأهوائه يضيق به المجال عند ما يتجه إلى حل المعضلات الاجتماعية ، لأنه إذا أمكن للفرد المنعزل أن يختط لنفسه منهجاً وافق هواها باعتقاده أنه هو المبدع لذاته والحركة الأولى لها ، فانه ليمتنع عليه أن يكون عضواً حياً في المجموع إذا هو لم يعترف في علاقته مع إخوانه بأنه ليس مصدراً لذاته ولا مآباً لها

إن مَنْ يطمح إلى مثل ما طمح إليه نيتشه من تكوين مجتمع منظم يسود فيه المتفوقون ولكلٍّ منهم شرُّه الخاص وخيره الخاص ، وخيره لا يوجدُ في النهاية إلا مجتمعاً يتفاوت التفوق فيه بين أفراده فيقضي الأقوى منهم على الأقل قوةً منه حتى يقف آخرُ الظافرين منتحراً بقوته وعنفه كما انتحر إلهُ نيتشه برحمته

غير أن المبدع لزرادشت لم تفته هذه الحقيقة ، فعاد إلى الشريعة الأولى يختلس منها آيتها الكبرى ليوردها وصيـةً لدعاته فقال :

« حذارِ من الطفرة في مسلك الفضيلة فعلى كل فردٍ أن يسير في طريقه وإن جنح عن مسالك الآخرين ، فلا يطمحنَّ إلى بلوغ الذروة وحدَهُ إذ على كل سائر أن يكون جسراً للمتقدمين وقدوة للمتأخرين »

أين هذه الوصية مما دعا إليه زرادشت في مفكراته نفسها إذ قال :

« على أهل السيادة في الانسانية المتفوقة أن يمهـدوا سُبُلَ السعادة لمن هم دونهم بتضحية ملذاتهم وراحتهم ، وعليهم أيضاً أن ينقذوا مَنْ لا يصلحون للحياة بالقضاء عليهم دون إمهال »

بل كيف يتفق القسم الأول من هذه الوصية مع قسمها الثاني ؟ ومن له أن يضع مقياساً يقضي به على مَنْ لا يصلحون لها إذا اتبع القاضي شرعة زرادشت القـائل بأن على أتباعه أن تتجلى القوة فيهم من الرأس حتى إخمص القدم

ولو أن مذهب نيتشه هذا طُبِّقَ قبل ميلاده لكانت السلطة التي رباها مثلاً أعلى قضت على أبيه وأمه دون إمهال فما كان له هو أن يظهر في الوجود بدماغه الجبار وبسُم الداء الذي جال من دمهما الملوث في دمه ...

ثم ، أليس هنالك غير هذه الأدواء الطارئة والتي يمكن للعالم أن يكافحها ، ما يقضي على الانسان بالرضوخ له من حالة في جسمه لا قبل له بتبديلها أو تعديلها ؟ أفما تحقق الطب أن كل مولود يجيء الحياة إنما يدخلها مستصحباً معه إليها من سلالته الضعف الذي سيقضي عليه ؟ أفليس في كل دارج على هذه الغبراء علة أو علل

كامنة فى تكوين أعضائه ستورثه الردى حين تدنو ساعته ؟

أى جسم مهما ظهر لك صحيحاً ليس فيه عضو هو أضعف الحلقات فى سلسلة أعضائه وفى فراغ مناعته المحدودة انفصام العرى وبداية انحلال العناصر فى الهيكل الفانى ؟

أين هو الجسم المنيع الذى يتوق نيتشه إلى إيجاده صريحاً من قمة الرأس إلى إخمص القدم ؟

لقد عمل العالم المتمدن على إيجاده بالرياضة فأوجد الرقاب الغليظة والعضلات المتضخمة مسبباً منها تضخم القلب وجفاء الطبع وبلادة التفكير وانحطام أجنحة الخيال

يريد نيتشه خلق الإنسان المتفوق جباراً كشمشون وشاعراً كداود وحكيماً كسليمان . فهو يكلف الطبيعة ما لا قبل لهـا به ويطمح إلى إيجاد جبابرة لا يصلحون لشىء فى المجتمع لأن الحيوية لا تنصرف من مختلف نوافذها الجسمية فى آن واحد دون أن تقبض على صاحبها لتوقفه من سلم الارتقاء على مرتبة معلقة بين الاعتلاء والانحطاط فيكون منه لا الانسان المتفوق بل الانسان « التافه » القصير الحياة والقاصر فى كل عمل يباشره

إن المجتمع لا يقوم من الوجهة العملية على أفراد يحاولون الاحاطة بكل شىء فلا ينالون منها شيئاً

وليس الحال إلا على هذا المنوال من الوجهة الروحية أيضاً، فان مَنْ تبصر فى أحوال الناس وطرائقهم فى الحياة ، لا بد له أن يسلم أخيراً بأن لكل شخصية حياتها بما كمن فى حوافزها، ولكل شخصية ميتتها بمـا خفى من أدواء جسمها ودخائل إرادتها وبما وراءها من مقدمات وحولها من نتائج

إن فى الحياة مسالك خطتها الارادة الكلية وليس للارادة الجزئية أن تتناولها بتحوير، ومصاعد الرقى للأرواح منتصبة من كل مسلك فى عالم الظاهر نحو العالم الخفى ، وما خصت العناية أقوياء الجسوم بالارتقاء

ولربَّ صعلوك فى نظر نيتشه لا يصلح للحياة ويجب أن يُقضى عليه دون إمهال تنفجر منه قوة لا تراها إلا البصائر النيّرة

من لنا بسبر الأغوار البعيدة القرار لندرك سرَّ التكامل فى الذات والحكمة فى حد الأشواط لكل روح لتقوم بقسطها من المقدور ؟

ومن لنا بادراك سرِّ الضعف والقوة وقد يكون الضعف فى الجسم السليم والقوة فى العليل من الأجسام ؟

إن لكل مخلوق أن يبلو الحياة بما أُعطى من ظاهر الضعف أو ظاهر القوة ، لأن للصحة محنتها كما للمرض محنته، والأنفسُ الطامحة إلى مُثُلها العليا سواء أكانت هذه المَثُلُ فى هذه الحياة أم ماوراء الحياة ، إنما تتغذّى من الجسد ناحلاً عليلاً كما تتغذّى منه مليئاً بالنضارة والصحة والبهاء

إن للحكمة العليا مقياسها فى تقدير الجهاد الأكبر على كل نفس، ومن يدرى فى أية لحظة وبأى مداد من قوة الجسد أوضعفه تخطُّ الروحُ الأخيرة آخر سطر من كتابها ؟ . . .

* * *

إنَّ محور الدائرة فى فلسفة نيتشه إنمـا هو إيجاد إنسان يتفوّق على الانسانية . لذلك تراه يهزأ بكل من عدّه التاريخ عظيماً بين الناس قائلاً : إن الجيل الذى يلد العظماء لم يولد بعد ، وأن لا رجل فى هذا الزمان يمكنه أن يتفوّق على ذاته، وكل ما بوسع الناس أن يفعلوه فى سبيل المثل الأعلى هو أن يتشوّقوا إليه ليخرج من سلالتهم فى مستقبل الأزمان

وسوف يرى القارئُ فى الفصول الأخيرة ، ما هو تقدير زرادشت للرجال الراقين فى هذه الحقبة الشاملة لعصره ولعصرنا فهو يعتبرهم نماذج فاشلة للانسان الذى يتوقّع نشوءه ، غير أن زرادشت وهو يتكلم بلهجة الآمر الناهى ويرسم للحياة طرقها بخطوط متفرقة إن لم نجمعها أنت بقيت حروفاً منتثرة لامعنى لها لا يقول لنا بصراحة ما يجب أن نفعله لنصبح جدوداً لأحفاد تصلح بهم الحياة ، ولكن من يعود بصيرته على مجاراة نيتشه فى الرؤى التى يهيم فيها يستوقفه قوله :

« إن ما فُطرنا عليه هو أن نخلق كائناً يتفوق علينا ، تلك هى غريزة الحركة والعمل »

ثم يستوقفه فى موضع آخر قوله :

« إننى لم أجد امرأة تصلح أمّاً لابنائى إلا المرأة التى أحبها »

فاذا ما وقف المفكر عنـد هذا يعرف ما هى تلك الفطرة التى يراها دائمة للانسان إلى التفوق على ذاته وانساله

وما تكون تلك الفطرة إن لم تكن حافز الحب الصحيح وفى

أعماقه غريزة الانتخاب تجذب الزوجين إلى اتصال يشد أحدهما فيه ما وهن فى بنية الآخر

ولولا أننا درسنا ملياً مسألة اعتلاء الأمم وانحطاطها ببحث صحة النسل واعتلاله فى فصل « منابت الأطفال » من كتابنا « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » لكنا نثبت هنا أن إيجاد الانسان الكامل فى إنسانيته ، لا الانسان المتفوق على نوعه كما يريد نيتشه ، إنما يقوم على مجاراة حوافز الاختيار الطبيعى فى الزواج باعتبار كل شهوة جامحة وكل طمع يسكت هاتف الاختيار سواء فى الرجل أو المرأة جناية على الانسانية

هذا وإننا لا نجد بداً من نقل بعض فقرات من فصل منابت الأطفال تأييداً لهذه الحقيقة

***

« إن الانسان لا يريد الانقياد للانتخاب الطبيعى فهو يطمح إلى تحكيم اختياره فى حوافز لا يعلم منشأها ، فيعمد الرجل إلى استيلاد المرأة أطفالاً تتجلى فيهم كوامن علله وعلل المرأة التى يرغمها إرغاماً بدلا من أن ينقاد إلى الانتخاب الطبيعى الذى تتذرع به الطبيعة للتغلبة على العاهات والأمراض والقضاء على حوافز الخبل والاجرام

***

إن الولد المختل العليل إنما هو الضحية البريئة تصفع الطبيعة به أوجه الرجال الفاحشين والنساء الطامعات المضللات

« ومما لاريب فيه أيضاً أن الطبيعة فى حرصها على طابع الأبوين فى الابناء تطمح دائماً إلى الجمع بين رجل وامرأة يصلح أحدهما ما أفسدت الحياة فى الآخر ، ولا يقف طموح الطبيعة عند حد إصلاح الأعضاء بل هو يتجه خاصة فى الانسان إلى إصلاح ماتطرق من عيوب إلى صفاته الأدبية العليا ، ولعل فى هذا بعض التفسير لسيادة الايقاع بين رجل وامرأة تخالفت أشكالها وأوضاعُ أعضائهما ومظاهر قواها الأدبية والعقلية ، فقد لاتجد مصارعاً قوى العضلات يعشق مصارعة مثله ، ولافيلسوفاً يتوله بفيلسوفة . ولكم وقف المفكرون مندهشين أمام امرأة فاضلة تحس بانجذاب نحو رجل متلاعب محتال ، أوبارعة فى الجمال تندفع إلى الالتصاق برجل قبيح . إن بعض العشق ينشأ من حنان خفى فى الطبيعة يشبه عطف الطبيب المداوى على العليل المستجدى الشفاء . . . »

***

« إن المفكرين يثورون على الشبان الذين يقدمون على الزواج وفى دمائهم سمومهم ، وفى مجارى نطفة الحياة منهم صديد ، ومن الأمم من سنت القوانين الصارمة لمنع زواج المبتلى بالعلل الزهرية وبالجنون محافظة على صحة النسل ، ولكننى لم أقرأ لمفكر رأياً فى الحيلولة دون الزواج الآلى المجرد عن كل عاطفة ، ويتراءى لى أن طفلا يجنى أبواه عليه بإرائه دماً أفسدته الأمراض لهو أقل شقاء بنفسه وأقل إضراراً بالمجتمع من طفل يرث من أبويه عهر العاطفة وضلال الفطرة .

لقد تشفى العقاقير أبناء العلل ولكن أى دواء يشفى الطفل الذى زرعه توحش الرجل المفترس فى أحشاء المرأة المنكسرة الذليلة ؟ إن مثل هذا الطفل لن يكون إلا وحشاً كأبيه أو عبداً ذليلا كأمه »

(يتبع) فليكس فارس

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ٢٠ —

كل ما استعرضته حتى الآن من خصائص غزل العقاد ، جائز أن يشركه فيه سواه ، في الفكرة الخاصة أو في الاتجاه العام؛ وهي على ندرتها في عالم الشعراء الكبار، وتفرد العقاد بكثير منها في الشعر العربي كله كما بينت ذلك بوضوح ، ليست ملكا خاصا له بمقدار اختصاصه فيما أفرد له اليوم هذا المقال من « خصوصيات » !

الغزل غرض مباح لجميع الشعراء ، ومذاهب الحس والتعبير فيه ملك كذلك للجميع ، إلا أن العقاد وحده هو الذي يقول ما سأعرضه في هذا المقال الأخير ، ولن يشركه أحد في اتجاهه هذا ، ولا في فكراته أو تعبيره ، لأنه فيه هو « العقاد » بشخصه ولحمه ودمه ، لا سواه من الأناسي — قبل الشعراء — وهو هنا في تقاطيعه وتقاسيمه وسحنته التي يلوح فيها ، ويتميز بها :

غنى عنده مايعطيه

في قصيدة « تبسم » بالجزء الثاني من الديوان صفحة ١٧٢ يقول لحبيبه

فلا تبتعد عني فإنك راجع ... متى تبتعد عني بصفقة خاسر

ومن لك بالقلب الذي أنت مبصر ... به كل إعجاز لحسنك باهر

تراه عصيا — إن نأيت — على الرضا

ولا قلب أرضى منه إن كنت زائري

وفي الناس مطوي الضلوع على الشجا

ولا مثل شجوي بين باد وظاهر

إذا شاركوني في هواك فما لهم ... سروري بما أصفيتهم وتباشري

وفي هذه الأبيات يشخص العقاد الشاعر بأن عنده ما يعطيه وأن حبيبه سيخسر حين يفقده ؛ الشاعر بتفرده في سروره وشجوه على السواء ، وكأنما هو من عنصر غير عنصر البشر الذين يعج بهم الكون ، وتهفو قلوبهم إلى هـذا الحبيب ، ولو شاركوه في هواه ، فمن لهم بقلبه في شجوه ورضاه؟

وغير العقاد يقولون لأحبائهم : إنكم لن تجدوا إخلاصاً كإخلاصنا ، ولا تضحية في سبيلكم كتضحيتنا . . . الخ مذاهب القول في هذا الباب ، ولكن العقاد لا يعني شيئاً من هذا ، إنما يعني أن قلبه فريد في نوعه لا في مظاهر إحساسه كالحب والإخلاص والتضحية وما إليها ، وأنه ممتاز حتى في « شجوه » وأن شجوه الممتاز هذا يغليه ويرتفع به ، كالسرور الممتاز على السواء !

رجولة صارمة

يرضى المحبون ويغضبون ، ويقولون في الرضا والغضب ما يقولون ، ويبقى العقاد غضبه ورضاه ، متميزاً بطابعه الذي لا ينساه . وفيما مضى رأى القارئ كيف يرضى العقاد في كثير من الأمثلة مثل « سنة جديدة » و « عامنا » و « قبلة بغير تقبيل » وسواها . فمن أراد أن يعرف كيف يغضب العقاد وكيف يكون صارماً باتاً في هذا الغضب ، فليقرأ : « الهجر الصادق » :

تجشم فيك القلب ما ليس يعذب ... أما آن لي منك النجاء المحبب ؟

فهجرا فهذا القيد قد طال عهده ... أليس لقلبي غير حبك مذهب ؟

هجرتك هجر المرء أسود سالخا ... يعج حماما كيفما يتقلب

هوى الموت أحلى من هواك لأنه ... هوى صادق الميعاد لا يتذبذب

وما كنت فتانا ولكن فتنتني ... بما صنعت عيني من الحسن أعجب

فلا تغترر مني بما قد عهدته ... لدن كنت أعفو إذ تسيء وتذنب

فما كل حين يغلب الحب ربه ... ولا الدهر في كل المواطن يغلب

لتظمأ ليال كان دمعي شرابها ... فحسب الليالي دمع من لم يجربوا

أنا اليوم في هجري على الكره صادق

وقد كنت في هجري على الكرهِ أكذب

هكذا في نفس واحد ، وفي نفثة واحدة ، صرامة قاسية ، هي طابع العقاد حين يكره ، وحين تسأم نفسه طول الإساءة ، وجفاف الصلات ، وحين يجنح إلى اختيار الهجر بعد اليقين والاعتزام

وليس هو هكذا في الغزل وحده ، فهو بعينه في الصداقة وفي السياسة وفي الآراء والمعتقدات في شتى مناحي الحياة : ضربة قاصمة ، لا رجعة بعدها ولا اتصال

اليقظة والوعي الفني والتأمل الفلسفي

ولقد كنت أفردت مقالا للحديث عن هذا العنوان ، وضربت من الأمثلة ما فيه الكفاية . ولكنني هنا ماض على نهجي للغرض الذي صدرت به هذه المقالة من استعراض « الخصوصية » المعبرة عن شخص العقاد ، لا عن مناحي تفكيره واتجاهاته

فمن اليقظة التي هي جزء من شخصه قوله تحت عنوان « الهزيمة المرغوبة »

أريد التي ألقي سلاحي وجنتي ... إليها وألقاها من البأس أعزلا
وأطرح أعباء الجهاد وهمه ... لدى قدميها مغمض العين مرسلا
وأنت إذا أقبلت أقبلت جحفلا ... وجردت أسيافا وشيدت معقلا
فإن تهزميني فاهزمي عن بصيرة ... مريداً لأسباب الهزيمة مقبلا

فها هنا رجل يعرف إحساسه ، ويدرك قواه وقوى حبيبته ، ولكنه يجنح إلى الفطرة ، ويريد المرأة ليلقي إليها سلاحه وجنته ويلقاها أعزل من كل قوة ، لتحتضنه كالأم الرءوم ، بعد ما ضاق ذرعاً بالجلاد والكفاح ، فأوى إلى الهزيمة المرغوبة وهو قوي عالم بقواه !

ومن التأمل الفلسفي أن ينظر إلى حبيبه الغرير ، الذي لا يدرك فتنة سحره فكأنما هو منها محروم ، بينما العقاد قد فطن إلى هذه الفتنة وقطف من ثمارها وعرف الدنيا على ضوئها ، وتملى الحياة على نورها ، فعاد مالكا لها ، وصاحبها محروم منها !

يا ساحراً فاتته فتنة سحره ... وتنقبت عن لحظه العشاق
تجني الثمار من القفار بفتنه ... وتصيبه منها التراب الساق
ترثي لسحرك أم تجل فعاله ؟ ... ما أجدر المحروم بالإشفاق !
سحر خصصت به وأنت حرمته ... حرمان لا حرج ولا متلاف

لا يقول هذا إلا العقاد ، المتأمل في كل لفتة ولمحة ، الواعي للظواهر والبواطن ، المعنيّ بالموافقات والمفارقات في عالم المعاني والاحساس

صوت الفطرة

وصوت الفطرة السليمة مسموع في كل ما يكتب العقاد ، ولكنه في الأبيات التي نعنيها هنا مكشوف ناصع ، لا يحتاج إلى الكشف والبيان ، ولا ينسرب في الرموز والألوان ، وهو — مع هذا — صوت فطرة العقاد الخاصة به ، وإن كانت قبساً من الفطرة الخالدة

يقول بعنوان « عيوب الحب » :

لا تعدّي علي عيباً فإني ... لك كلي محاسني وعيوبي
وعيوب المحب أولى بعطف ... من كمال فيه وحسن وطيب
هي كالطفلة الشقية تلقى ... من حنان الآباء أوفى نصيب

فليس التأمل وليست الدراسة النفسية وحدهما يوحيان بهذا المقال ، إنما هو الشعور الفطري الصادق قبلهما يوجه النفس هذا التوجيه . يعرف ذلك الآباء المشغوفون من لدن الحياة بالأبناء ، والبنات الأشقياء والشواذ ، لأن هؤلاء أحوج للرعاية في منطق الحياة ! ويعرفه كذلك المحبون الذين تزيد شغفهم بحبيباتهم ما ينفر سواهم الخليين من أقوال وتصرفات . ويعرف العقاد هذا فيطل بوجهه من خلاله وكأنه وشاحه الخاص ، الذي لم يفطن إليه سواه

الملك بالمعرفة

ويعد فهذا فن وحده ، واتجاه في الاحساس غريب : محب ينقضي ما بينه وبين حبيبته من حب ومن لقاء واتصال وأخذ وعطاء ، ويفصل بينهما فاصل من هجر مرير بعد شك دامر ويقين أليم حدثنا عنهما في كلمة سابقة ، ثم يحس في خلال هذا كله أنه ما يزال مالكا لهذه الفتاة ، مالكا لها إلى الأبد ، لا يملكها سواه أبداً ، ولا تفلت من يده أبداً ... لماذا ؟ لأنه يعرفها بكل ما فيها ، ولأن غيره لن يعرفها مثله ، ولن يطلع منها على ما اطلع هو ، وهي له وحده ، لأن صفحتها مفتوحة أمامه يقرؤها بلا مفسر وبلا منظار ، ولأن أحداً لن يحبها حبه أو يكرهها كرهه ، بل لأن أحداً لا يزدريها ازدراءه !

ألقاءٌ أم لات حين لقاء ... وسلام أم تلك حرب عداءِ ؟
وفراق تجدد العتب فيه ... يوم تخلو على معاد الصفاء ؟
أم فراق على الحياة طويل ... كفراق الردى بغير انتهاء ؟
أنا ما بين هاتف ونذير ... ذاهب السمع إثر كل دعاء
هاتف في الضمير أن ليس هذا ... آخر العهد فاعتصم بالرجاء
ونذير بأنها عقبة العمر ... وعقبي مودة الأصفياء
ليت عاماً من الحياة تقضّى ... لأرى في غد بعيد القضاء

وأرى الخير لايطول انتظارى وأرى الشر لايطول عنائى

***

لالعمرى بل يكذب الخير والشر وتعفو معالم الأنباء

ويقول الزمان قولا فإنى مرسل قوله مع الأصداء :

أنت لى أنذر الزمان بشر أم مضى هاتفاً مع البشراء !

أنت لى أضمرت نياتك حباً أم طوت سرها على البغضاء !

إن لى فيك يابنية حقـــاً فوق حق الهوى وحق الدماء

مزجت فى قرارة الحب نفسانا وسيطت أيامنا فى وعاء

وترايئت لى بقلب ولب من وراء الحياء والكبرياء

من من الناس قد تذوق منك الهيش صفواً والعيش جم الشقاء ؟

من من الناس قد توسم فيك الحسن نوراً والحسن من ظلماء ؟

من من الناس قد أحبك حبيـــك ومن منهم ازدراك ازدرائى

من من الناس قد رأى خير مافيـــك وأخفى مافيك من أدواء ؟

من جمال ومن ذكاء ومن غدر ومن صدق شيمة ورياء ؟

هذه أنت لاتزالين لى وحدى — جميعاً — لاتظهرين لراء

يعرف العارفون منك لماماً بعض ماقد عرفت من سيماء

فلهم منك صـــورة وأحاديث ولى منك لب ذاك الطلاء

هـــذه أنت لافؤادك خاف عن عيانى ولا ودادك ناء

إن يطل بيننا النوى فالتلاقى من ندائى بموقع الاصغاء

ولنا فى صحيفة الدهر غيب سيعيد انتهاءنا لابتـــداء

وكنت أود أن أعقب بشىء على هذه القطعة ، ولكنها ليست بحاجة إلى الشرح ، وإن كانت بحاجة إلى حس غنى مرهف يتلهمها بمجرد قراءتها . فمن كان له هذا الحس فما هو بحاجة إلى بيان ، ومن لم يكن له ، فما أنا ببالغ شيئاً فى إفهامه

وإنى لمفتون بهذه القصيدة ، أكاد لفتنتى بها ، ولمسى لقلب الشاعر فيها ، أفضلها على كل غزل العقاد !

***

والآن أختم حديثى عن « غزل العقاد » وقد طالت عنايتى بهذا الضرب من شعره لأسباب سأشرحها فى الكلمة الختامية بعد الحديث عن « أسلوب العقاد » فى مقال تال

« حلوان » سيد قطب

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

---

٩ — قارئ

كنت عند صديق لى يبيع الصحف والمجلات أجوز به كل يوم ، فجاءه رجل محترم ، عليـــه سيما الوقار ومعه نسخة من مجلة الرسالة فقال له :

— لقد أخذت هذه المجلة أمس من عندك ، وقد بدا لى فيها ، أفلا تحب أن تأخذ قرشاً[1] وتعطينى بها الرواية ؟ فنظر فيها البائع فإذا هى جديدة سالمة ، ولم ير فى طلب الرجل شيئاً فقبل وأعطاه الرواية فأخذها شاكراً . فلما كان من الغد عاد والرواية معه فقال :

— هذه هى مجلة الرواية التى أخذتها منك أمس ، أفتأخذ قرشاً وتعطينى (الدنيا) ؟

— قال : نعم ، وأخذ القرش والرواية وأعطاه الدنيا ، فمضى شاكراً . فلما كان من الغد عاد فقال له :

— أتحب أن تأخذ هذه المجلة وتعطينى بها (الحرب العظمى) وعدداً من جريدة يومية ؟

— قال : نعم وأعطاه ... فلما كان غد عاد فقال :

— أتشترى منى (الحرب العظمى) بنصف ثمنها ؟

— قال : نعم ، وأعطاه (نصف فرنك) فأخذه ومضى شاكراً

فقلت لصديقى البائع :

— لقد شهدت من صبرك على هذا الرجل عجباً ؟ أفلا طردته أو أنبته واسترحت منه ؟

— قال : ومن أبيع إذا طردت مثل هذا ؟ إن أمثال هذا هم (القراء) فى هذا البلد ، أفتعجب بعد أن كان يباع من مجلة (كذا) مثلا خمسون عدداً فى دمشق كلها ؟

١٠ — امام

رأيت فى سينما روكسى ، رجلاً بلحية وقفطان ، ولكنه حاسر الرأس ، غير مرتد رداء ، ولا متخذ جبة ، فعجبت منه وجعلت ألحظه ، وأنكر مكانه من السينما ، حتى إذا انقضى التمثيل

---

[1] مع العلم بأن ثمن الرسالة فى دمشق (١٢) قرشاً سوريا

وخرجنا رأيته يدخل غرفة (المدير) فيلبث فيها دقائق ثم يخرج منها شيخاً بسمة وجبة ... فسألت رجلا كان معي :

— ماذا يكون هذا الشيخ ؟

فضحك وقال :

— ألا تعرفه ؟

— قلت : لا

— قال : هذا من خطيئات النظام الحزبي ... كان تاجراً ، فاشتغل بالسياسة وأقبل عليها حتى أدبرت عنه الدنيا ، وخسر رأس ماله كله فابتغوا له عملا يعيش منه ، فكان عمله مراقب (الأفلام السينمائية) ولكن وظيفة[1] هذا العمل قليلة ، ففتشوا عن وظيفة أخرى ترفدها ، فجعلوه إماماً في مسجد (كذا) وعزلوا إمامه الشيخ الصالح ، فمن أجل ذلك كان بسمة وجبة وكان في السينما ...

— قلت : عاش النظام الحزبي ...

١١ — مشعبذ

سمعت الكثير من أحاديثه — وأخبار (علمه اللدني) — وقدرته على استحضار الجن ، وكشف السرقات واستحضار الغيبيات ، وبراعته في (علم الحرف) وأسرار العدد ، فأحببت أن أراه ... كما يحب المرء أن يرى حيواناً عجيباً ، أو تحفة نادرة ... وسألت صديقاً لي أن يجمعني به ، فأخذني إلى داره في (برج أبي حيدر) فدخل بي دهليزاً مستطيلاً يفضي إلى غرفة في داخلها غرفة — مفروشة بالطنافس ... في جوانبها مئات من الكتب الصوفية والروحانية — وفي وسطها مجمرة يحرق فيها البخور فتمتلئ به الدار ، والشيخ جالس أمامها وقد وضع في عنقه سبحة طويلة أخبرني صديقي الذي جاء بي ، أن فيها ألف حبة ، في كل حبة منها حرف يدعى به ملك من ملوك الجان فلا يلبث أن يحضر ملبياً طائعاً ، وعلى رأس الشيخ عمة ضخمة أحسبها تزن خمسة أرطال ... فلم يقم لنا حين دخلنا وإنما مدّ إلينا يده لنقبلها ، فعجبت من فعله وتلكأت ، فهمس صاحبي في أذني ، أن قبلها وإلا رأيت من القوم ما تكره ... فنظرت في وجوه القوم فاذا هي قد اربدّت ، وإذا عيونهم محمرّة ، فآثرت السلامة وقبلت يده الطاهرة وجلست ...

وشرع القوم يعرضون على الشيخ قصصهم — كما كانت تعرض القصص والحاجات على الملوك والأمراء ، وهو يسمد ويؤمل ... والقصص شتى والحاجات متباينات ؛ فهذا رجل له قريب أصابته آفة في بطنه أجمع الأطباء على أن شفاءها (عملية) جراحية ، فخاف المريض منها وبعثه يرجو الشيخ الخلاص من هذه (العملية) فوعده أنه سيجريها له وهو نائم فلا يفيق من منامه إلا وقد صرف الله عنه مايحس به ، فدعا له الرجل ودس في يده ما تيسر ... وهذا رجل له امرأة عاقر فهو يسأل الشيخ أن يجعلها ولوداً ... وهذا آخر سرق ماله كله وعجز الشرط عن معرفة السارق ، فهو يطلب من الشيخ كشف السارقين ... وأمثال ذلك ، وهم ينصرفون واحداً إثر واحد ، حتى لم يبق أحد ... فال علينا يحدثنا .. فكان من حديثه إلينا أنه وقع على النسخة الفريدة من كتاب (أسرار الحرف) تلك التي فتش عنها (العلماء) القرون الطوال فلم يسقطوا لها على أثر ... فكانت له مفتاحاً لكل باب ، فاذا أراد أن يأتي بأموال (بنك فرنسا) مثلا لم يحتج إلا إلى حروف يكتبها في ورقة ويلقيها في البحر ، ظهر يوم الاثنين ، أو فجر يوم الأربعاء ، وإذا شاء أن يصطاد سمكا ، كتب حروفاً على الشبكة فأقبلت إليها الأسماك والحيتان حتى لا يبقى في البحر حوت

قلت: فلم ياسيدي لا تأتون بأموال فرنسا وانكلترا وهم أعداء الله وأعداء رسوله ؟

قال : لم يؤذن لنا في ذلك ، ولكني سأكون سنياً لجيش الفرنسي فأجعله كله من جنود الله !

* * *

ومرت على هذه المقابلة الطريفة سنون ، لقيت بعدها ذلك الصديق ، فقلت :

— مافعل الله بصاحبنا الشيخ ؟

— قال : ذهب المسكين بمطاف ، فنوا عليه بدار في (دمر) منفردة . فلم يبت فيها إلا ليالي حتى نزل عليه اللصوص فلم يدعوا له شيئاً ... وبقي هو وأمرته بلا فراش !

— قلت : أولم يستطع أن يعرفهم ؟ أما كان يكشف السرقات ويظهر الخبئات ؟

— قال : مسكين ؛ إنه يرتزق .. أفتريد له الموت جوعاً ؟

دمشق علي الطنطاوي

(١) الوظيفة في اللغة المرتب (أي الراتب)

من أشهر المحاكمات الجنائية

محاكمة فرنسوا داميان*

الذي حاول قتل الملك لويس الخامس عشر

للكاتب كيرجيل Ker - Gil

بقلم الآنسة مفيدة اسماعيل اللبابيدي

ولد « روبرت فرانسوا داميان » في تيولوي (شمال فرنسا) سنة ١٧١٥ من أسرة خاملة كانت تمتهن التزام المزارع ، وقد أراد أن يحمل لويس الخامس عشر على عزل وزرائه لغرض لم يكشفه التحقيق ، فذهب يوم ٥ يناير ١٧٥٧ إلى فرساي وطعن الملك في خاصرته اليمنى طعنة غير مميتة ولم يستطع الهرب فقبض عليه وحوكم وعذب ثم أعدم على صورة بشعة جداً

والمهم في هذه المحاكمة أنها تكشف لنا عن طرق التعذيب في القرون الوسطى توصلاً لاستلال الاعتراف بالجريمة من المجرم وما يصاحبها من إجراءات عدت زماناً إحدى طرق التحقيق القانونية فصبغت وجه الانسانية بحمرة من الخجل لا تمحى

* * *

في الخامس من شهر يناير سنة ١٧٥٧ وفي الساعة الخامسة من مسائه، روع باريس خبر ذعر له أبناء الشعب والأشراف على السواء : ألا وهو جرح الملك المحبوب لويس الخامس عشر في فرساي من يد رجل يدعى داميان Damiens ومن حسن الحظ أن قبض عليه في الحال

وعندما انتشر خبر الجريمة توجه الأمراء والضباط والسفراء برغم البرد القارس نحو فرساي ، وفي بضع ساعات كان طريق فرساي مغطى بالكراسي والمركبات وجميع أصناف المجلات على ما يروى أحد مؤرخي هذا العصر

ولفائدة التحقيق أوقفت امرأة داميان وابنته اللتان زجتا في الحال في « الباستيل » لأنه لا بد أن تكونا مطلعتين على نية القاتل السيئة

وفي الثامن عشر من ذلك الشهر وحوالى الساعة الثانية صباحاً اقتيد فرانسوا داميان من فرساي إلى باريس مخفوراً بعدد وافر من الجنود

وكان السجين في داخل عربة لا ضوء لها ، فأدخلوه من حاجز السيفر «Sévre» ليمنعوا المتفرجين عنه ثم أودعوه القصر في برج « مونتكوميري » تحت رقابة من الحرس الفرنسي يجرى تبديلهم كل أربع وعشرين ساعة

ثم في الصباح ذهب مفوضا الشرطة « ... و باسكيه » والرئيس الأول والرئيس « موله » ليحققوا معه ، وقد دام هذا التحقيق من الساعة الحادية عشرة صباحا إلى الساعة الخامسة بعد الظهر ، وكان أحد طهاة الملك مكلفاً باعداد طعام داميان وكان هذا لا يخرج من البرج مطلقا

وكان فوبير « Faubert » من كبار الجراحين في ذلك العصر ، لا يترك السجين الذي كان يقاسي الآلام الممضة من ساقيه اللتين كويتا فوراً بعد توقيفه بسيخ أحمي حتى احمر

أما الملك الذي شفي سريعا من جرحه فقد أرسل ٣٠٠٠٠٠ ليرة إلى قسس باريس لتوزيعها على فقراء رعيتهم فداء عن نفسه

كان سجن داميان مستديراً وقطره لا يزيد على اثنى عشرة قدما ، وكان الهواء لا يدخله إلا من فتحة ضيقة ذات صفين من القضبان الحديدية مفتوحة في حائط سمكه خمس عشرة قدما، وكان الضوء يمر من خلال الأوراق المزيتة

وكان السجين محصوراً في نوع من الصدارى[1] « Cavisale de force » التي لا تترك له الحرية في أقل حركة

بلغ هذا التضييق الملك فوجده مفرطاً لأنه في الحقيقة لم يتخذ تدبير ضد متهم أكثر تضييقا وأقل رأفة مما أخذ ضد داميان ، فبعث الملك طبيبه الأول الدكتور « سه ناك » فزار داميان ثم أمر أن يترك للسجين بعض الحرية وأن يعامل بشيء من الانسانية

(١) نوع من الصدارى يصنع من الكتان المتين يشل حركة الذراعين ويستعملونها للمجانين والمجرمين

(*) من مجلة Dimanche Illustré

وكانت الدعوى تسير ولكن ببطء ، فقد زج فى الباستيل ستون أو ثمانون شخصاً اتهموا بأنهم كانوا على علم بنية داميان المجرمة ، ثم أطلق سراحهم من السجن تدريجاً . ولما حضر داميان أمام محكمة تورنل « Chambre de la Taurnelle » فى ١٧ آذار ، دافع بأنه ما كان يرغب إلا فى إنذار الملك وحمله على عزل وزرائه

وفى الحادي والعشرين من ذلك الشهر أرسل إليه الكاهن (كه رمت) خورى كنيسة القديس بولص ليعظه حتى يحمله على قول الحقيقة

وفى السادس والعشرين من الشهر المذكور اجتمعت المحكمة الكبرى المؤلفة من أمراء البيت المالك والدوقات والرؤساء والقضاة والمستشارين . وكان الحامون جلوساً فى أمكنتهم ، وجيء بالمجرم فأجلسوه فى قفص الاتهام ولم يكن يظهر عليه أنه (محروم) ولا ظهر عليه أمام هذا المجلس أقل اضطراب بل كان يتظاهر ، بالهدوء وعظمة النفس ثم استجوبوه بتسمية شركائه فى الجريمة ، فأجاب : إنك تتكلم جيداً ياسيدي باسكيه ولكن هأنذا أمام الصليب ليس لدىّ ما أعترف به

وحينئذ فتحت الجلسة فقرئ تقرير النائب العام الذى يتلخص فى طلب إدانة داميانُ بجريمة محاولة قتل الملك فأحيل للعذاب طبق ما هو مقرر

* * *

وفى الساعة السابعة مساء أصدرت المحكمة الحكم الآتي على روبرت فرانسوا داميان :

إن المحكمة بحضور عدد وافر من الأمراء والقضاة نظرت فى التهمة الموجهة ضد روبرت فرانسوا داميان ، وهى تعلن إليه بناء على اعترافه بأنه مجرم بالاعتداء على صاحب الجلالة الملك بصفته الالهية البشرية وكونه الرئيس الأول ، تلك الجناية الفظيعة الشنعاء الموجهة ضد شخص الملك ، وللتكفير عن فعلته يحكم عليه :

١ — بأن يقاد عارياً إلا من قميص ، ممسكاً بمشعل من الشمع الملهب بوزن ليبرتين[1] إلى أمام الباب الرسمى لكنيسة باريس ، وهناك يركع ويعترف جهاراً بأنه أقدم على ارتكاب جريمة قتل الملك ، تلك الفعلة الشنعاء المقوتة ، وأنه جرح الملك بضربة سكين فى خاصرته اليمنى ، وأنه قد تاب وأناب فيطلب العفو من الله ومن الملك ومن العدالة

٢ — بأن يساق إلى محل الاعدام (Place de la Grève)[2] ويرفع على سقالة ثم يسحب ثدياه ولحم ذراعيه وفخذيه ورجليه بكلاليب ، أما يده اليمنى فيمسك بها السكين التى حاول بها قتل الملك وتحرق بالنار والكبريت ، وأما الأقسام التى جز لحمها فيصب عليها الرصاص الذائب والزيت الحار ، وصمغ البطم الحار والشمع والكبريت ممزوجة جميعها معاً

٣ — بأن يشد بدنه أربعة أحصنة وتقطع أطرافه ثم تحرق بالنار حتى تصير رماداً تذرى فى الهواء

٤ — بأن تصادر جميع أرزاق المحكوم عليه وأملاكه فى أى مكان كانت لحساب الملك

٥ — تأمر المحكمة بأنه قبل هذه الاجراءات يحال المجرم داميان إلى التحقيق العادى وغير العادى (التعذيب) ليقر بشركائه فى الجريمة

٦ — وتأمر أيضاً بتدمير البيت الذى ولد فيه المجرم داميان ، أما الذى يملك هذا البيت فيعوض عنه ، على ألا يحق له فى المستقبل أن يقيم مكانه بناء آخر

وبينما كانت المحكمة تقرأ الحكم كانت الاستعدادات لتنفيذ الحكم قائمة فى محل الاعدام

* * *

وفى الثامن والعشرين من الشهر صباحاً أخرج داميان من سجنه وسيق إلى غرفة فى الطبقة السفلى من « الاوتيل ده فيل » محمولا على أيدى الشرطة فى نوع من الحقائب اللينة التى تصنع من جلد بعض الحيوانات والتى لا تسمح لغير رأسه بالظهور ،

(١) كيلو غرام
(٢) منذ سنة ١٨٠٦ كان محل (أوتيل ده فيل) فى باريس حيث كان يجرى تنفيذ أحكام الاعدام

ثم أخرج منها وأركع وتلى عليه الحكم ، وقد لوحظ أنه كان مصغياً بانتباه إليه ، ثم انفرد به خورى كنيسة القديس بولس فى وسط المكان بضع دقائق انسحب بعدها الخورى وشرب داميان جرعة من الخمر وضع بعدها فى الحقيبة المذكورة مرة أخرى ونقل إلى غرفة التعذيب حيث هناك المحققون مفوضا الشرطة، والرئيسان موله وموبر ، والمستشارون رولان وباسكيه وسه فهر ، لجرى استنطاقه من جديد .

وحينئذ أحاط به منفذو الحكم وألبسه الجلاد الخف [1] Brodequin وحين ضغط على الزاوية الأولى أجبرته على الصراخ الشديد، فأقر بأن الموسيو(غوتيه) وكيل عضو فى البرلمان والمسيو (له متر) الذى كان يسكن فى شارع الماسونيين هما اللذان دفعاه إلى الجريمة . فصدر الأمر فى التو بتوقيف هذين الشخصين .

وعندما ضغط على الزاويتين الثانية والثالثة صاح من جديد صيحة ألم، وفى الرابعة طلب العفو . ولما وصل المتهمان الجديدان (غوتيه) و (له متر) واجهوهما بداميان فرجع عن اقراره عنهما . فأعيد إلى العذاب ثانية وضغطوا على الزاوية الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة من الخف ، وهنا أعلن الأطباء الجراحون بأن الجرم لم يعد فى طاقته تحمل تجربة جديدة ، وقد دام التعذيب ساعتين وربع الساعة .

ولما دقت ساعة القصر الرابعة تقدم (جبرائيل سانسون) من المسيو (غه ره) والمسيو (مارسيلي) وقال لهما إن ساعة التنفيذ قد حانت . ومع أنه تكلم بصوت خافت فقد سمعه (داميان) الذى دمدم بصوت مخنوق « نعم بعد قليل يخيم الليل » وبعد فترة قال: « أواه ، غداً يكون نهاراً لهم » .

* * *

وحينما وصل (داميان) إلى أسفل الصقالة طلب أن يكلم مفوضى الشرطة فحمل إلى « الأوتيل [1] ده فيل » حيث استدرك من جديد الاتهام ضد (غوتيه) ثم أوصى المسيو (باسكيه) بزوجته وابنته .

وفى الساعة الخامسة أنزلوه إلى الميدان ورفعوه فوق الصقالة ثم نزلوا وربطوا كل طرف من أطرافه بجر حصان، وكان لكل حصان مساعد يمسك بلجامه، وآخر وراءه يمسك سوطاً، ووقف الجلاد وأعطى الاشارة ، وعندها وثبت الأحصنة الأربعة بقوة شديدة وفى اتجاه مختلف فسقط أحدها ، ولكن جسم الشقى لم يتقطع، فأعادت الأحصنة الكرة ثلاث مرات وفى المرات الثلاث كانت تتقهقر أمام صلابة الجسم .

ولهول المنظر أغمى على الخورى ، وكان المتفرجون فى ذهول وذعر عميقين ، ثم تعالت الأصوات من كل جانب بصورة مرعبة .

وعندها صعد الجراح (بوبر) إلى « الأوتيل ده فيل » وطلب إلى مفوضى الشرطة أن يضربوا المحكوم عليه بالساطور على مفاصله فصدعوا بالأمر .

وأخيراً فصلت الأطراف وخرجت من جميع الصدور تنهدات عميقة وتنفسات حارة .

ولكن الواقعة لم تنته ، فجمعت الأطراف الأربعة والجذع ووضعوا على كومة من الحطب ، ثم ارتفع اللهيب فيها .

حلب — مفيدة اسماعيل اللبابيدى

---

(1) كان المحققون فى القرون الوسطى يستعملون للتعذيب توصلا لاعتراف الجرم نوعا من الخف يلبسونه قدميه وفى داخله زوايا قابضة يضغطونها واحدة بعد واحدة ويكرهونه على السير به .

(1) قصر شهير للبلدية فى باريس



شيء من فلسفة الموسيقى

للدكتور أحمد موسى

إذا انحصرت فلسفة الموسيقى فى تفسير جمالها وإيضاح التأثر بسماعها أمكننا أن نعتبر التمتع النفسى بهذا السماع أهم عنصر مكون لجمالها الذى هو بدون شك جزء من الجمال العام

وإذا كان جمال الفن المكانى منحصراً فيما يمكن رؤيته ، أو ما يمكن لمسه ، كان جمال الفن الزمانى منحصراً فيما يمكن سماعه

وعلى ذلك يكون التأثر بهذا المسموع وقياس القدر الفعال فى نفسية المستمع هو موضوع فلسفة الموسيقى

ومعنى هذا أن نقد وتحليل ما نسمعه منها على قاعدة الأسمى والأجمل والأروع هو الغرض الأول من التفلسف الموسيقى

وإذا كان أثر الجمال هو دخول السرور المطلق على النفس نتيجة المشاهدة ، كان أثر الموسيقى السامية الجميلة الرائعة نفس السرور المطلق نتيجة هذا السماع

ولا يخرج السرور هنا عن معنى الارتياح والرغبة فى الاستزادة دون رد فعل يُشعر بالخيبة أو الضجر ، حتى ولو كانت القطعة الموسيقية تمثل الحزن والألم ؛ لأن هذا ما تصادفه أحياناً فى المشاهد الطبيعية التى قد تكون ثورة بركانية ، أو اصطدام غيوم نشأ عنه برق ورعد ، أو مطر غزير لا يبعدها عن الجمال الذى يمكن للفنان أن يتأمله ويتأثر به دون رد فعل

فالألحان الموسيقية تكون تارة ممثلة لحلاوة اللقاء ، وأخرى لمرارة الفراق ، وغيرها للذة الانتصار ، أو لقساوة الانهزام ، وما إلى ذلك من مختلف النواحى التى يتصيدها الفنان بفنه

وعلى هذا القياس يمكن اعتبار كل مايلفت الارادة الشخصية إلى السماع دون إرغام موضوعاً من موضوعات الموسيقى — على أنى لا أقصد بالسماع مجرد الانصات ، بل السماع المشفوع بالتفكير والفهم والتقدير والتأثر ؛ إذ عندئذ نجد العقل يعمل مفكراً لتكوين حكم معين على ما يسمعه ، بعد قياس درجة تناسب الأصوات وانسجام أجزائها المكونة للقطعة ، وأخيراً لاتحاد الهارمونى فيها

والموسيقى الفنان الذى يعبر عما يجول بنفسه الثائرة هو ذلك الذى يدرس الطبيعة فى مختلف مظاهرها ويتأملها فلا يقنع بما فيها من تناسق ؛ ثم يجدّ فى الوصول إلى غايته راغباً التعبير عما يتفاعل فى نفسه من جمال كمالى يعتقد بوجوب ظهوره فيعجز ، ثم يقنع بتقليد ما فيها إلى حد ما ، فى أصوات يخرجها للناس ، متوخياً الوصول إلى ذلك المثل الأعلى الذى لا يخرج عن كونه القائم نحو الخلود .

والمثل الأعلى مما لا يمكن وجوده أو رؤيته أو سماعه ، ولهذا فهو غاية نسمو إليها بالخيال الذى يعبر عنه الفنان الموهوب بما نسميه الوحى أو الالهام وما يسميه الجميع الخلق الفنى

والفن روح خفية تسكن نفس الفنان فتبعث فيه عينين قادرتين على النظر لا كما يرى الجميع ، بل على ذلك النظر التقديرى الذى به يتعرف الجمال أينما كان ، وأذنين قادرتين على السمع لا كما يسمع الناس ، بل على السمع الدقيق الفائق الذى به يستطيع التفرقة بين ما هو سام وما هو غير سام . لذا وجب أن يكون الموسيقى رجلا تمثلت كل قواه فى عينيه وأذنيه ، فبالعينين يتلمس الجمال المشاهد ، وبالأذنين يتلمس الجمال المسموع ، فيخرج للناس ما لا غنى لهم عنه ، ألا وهو الخلق الموسيقى السامى

والأصل فى الخلق الموسيقى السامى هو حاسة النظر بلا شك لأن بها يتأثر الفنان — موهوباً كان او ملهماً — بما فى الحياة ، وتكون نتيجة هذا التأثر القدرة على الخلق الفنى ، وعلى ذلك ...

الفنان دائم التأمل الذى يعود عليه بالبؤس — غالباً — فهو أشبه بالفيلسوف الذى لا يقنع بما يراه أو يسمعه ؛ فيقضى حياته عاملا مكملا قدر استطاعته ، ولكنه يفنى دون أن يصل إلى ما تصبو إليه نفسه ، تلك النفس التى تميزت على نفوس المجموع بصفاء النظر ودقة التأمل والدرس والتغلغل فى كنه المرئيات والمسموعات وأخيراً بالهيام والمقدرة الهائلة على تفهم الجمال المطلق . كل هذا متجمعاً يكونّ لك تلك النفسية البريئة الهادئة الوديعة ، نفسية الفنان .

يقول أرسطو إنه لا ينبغى أن يقف الغرض من الموسيقى عند حد التلهية والتسلية ، لأنها من أهم وسائل التهذيب الأخلاقى ومن خير طرق العلاج الفعال البطىء لتنقية النفس من عيوبها المتأصلة[1]

وقد التفت إلى هذا رجال التعليم فى العصر الحاضر فأخذوا ينشرون الموسيقى فى دور التهذيب، أما فيما يتعلق بعلاج الأمراض فقد دلت آخر الأبحاث على فائدة الموسيقى إلى حد أدهش العلماء. وثبت أن الألحان ذات أثر مختلف فى مستمعها الفاهم لهـا ، فمنها ما يؤثر تأثيراً هادئاً يعقبه نوم عميق ، ومنها ما يوقظ ويبعث نشاطاً عجيباً . ولا أدل على ذلك من تأثير قطعة أرل كونيج لبيتهوفن[2] على مرضى الميلانخوليا، أو قطعة تانهوزر لفاجنر[3] ، أو قطعة الافتتاحية لميستر زنجرن[4] اللتين تلائمـان مرضى الغضب السريع

ودلت تجارب عدة على أن الدورة الدموية تتأثر أيضاً بالموسيقى إلى حد أنها تنتظم وتصل إلى المستوى الطبيعى

ووجد الدكتور تراخانوف J. Trachanoff أن الموسيقى السهلة تساعد على تنشيط العضلات الضعيفة ، على حين لاحظ أن الموسيقى المدرسية (كلاسيك) لا تؤثر هذا الأثر ؛ بل على النقيض تكسب العضلات شيئاً من التراخى

والعناية بأمر الموسيقى فى علاج الأمراض قائمة على أشدها فى ألمانيا — بلاد العلم والفن والمدنية — حتى لنرى أن أعظم جامعة فيها وهى جامعة برلين قد منحت دكتوراه الشرف للموسيقى الفنى ماكس ريجر Max Reger الذى أثبت أن المعالجة بالموسيقى ذات أثر قيم تام بالدليل فى معالجة الأمراض النفسية

من كل هذا نرى أن الموسيقى هى إحدى نعم الله التى منحها خلقه العاقل المذب ، والتى بها استطاع أن يمد عمل الشيطان من نفسه ، ويلتفت إلى ما فى الوجود من جمال يدل على قدرة الخالق وعظمته[1]

ولعل الشاعر شكسبير لم يبالغ بقوله فى رواية روميو وجوليا (١٥٩٣) أن الموسيقى بلسم القلوب الجريحة ونعيم العقول المتعبة، إذ بصوتها الفضى يكتسب القلب بهجته والعقل راحته

وإذا رجعنا إلى كتاب شوبنهاور (الدنيا كارادة وتصور) نجد فيه الفيلسوف يقول إن أحسن موسيقى وأسماها هى تلك التى لا نستطيع وصف أثرها فى نفوسنا عند الاستمتاع بها ، حيث تذهب بنا إلى جنة الخيال البعيد عن مرارة الحقيقة الراهنة

أما جوته (١٨٢٧) فقد وجد أن الموسيقى تعاصر الانسان منذ خلقه ؛ قديمة بقدمه ، تناسبت مع نفسه وروحه وشاعريته ووجدانه ، فتطورت بتطوره . ويؤمن بأن الانسان قد يستمع لموسيقى جديدة فلا يطرب لها لأول وهلة وذلك لعدم تفهمه إياها (قصد موسيقى فاجنر) ، أما بعـد أن يألفها فانه يجد استمتاعه بها متناسباً مع تفهمه لها ، حتى يحين الوقت الذى يجد فيه خير معبّر عن مثله الأعلى فى ناحية من نواحى وجدانه ، ألا وهى ناحية العاطفة السامية والحس الدقيق

وهذا تفلسف اتفق مع الواقع ، ولا سيما أنه اشـترط فى الموسيقى أن تكون متناسبة مع عقلية الانسان وتفكيره ودرجة فهمه وتمدنه . فقد ترى السذج يطربون لموسيقى لا انسجام فيها ولا طرب ؛ على حين تجد أولئك الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل وسمو الشاعر لا يطربون إلا لمـا أخرجه الفنان الموهوب الذى أمكنه التعبـير عن حب دفين لانهائى للخالق جلت قدرته فى أصوات منسجمة متوفرة الارتباط ، تسمو بالمستمع إلى ملكوت مقدس بعيد كل البعد عن الطرب المصطلح عليه فى الشرق

احمد موسى

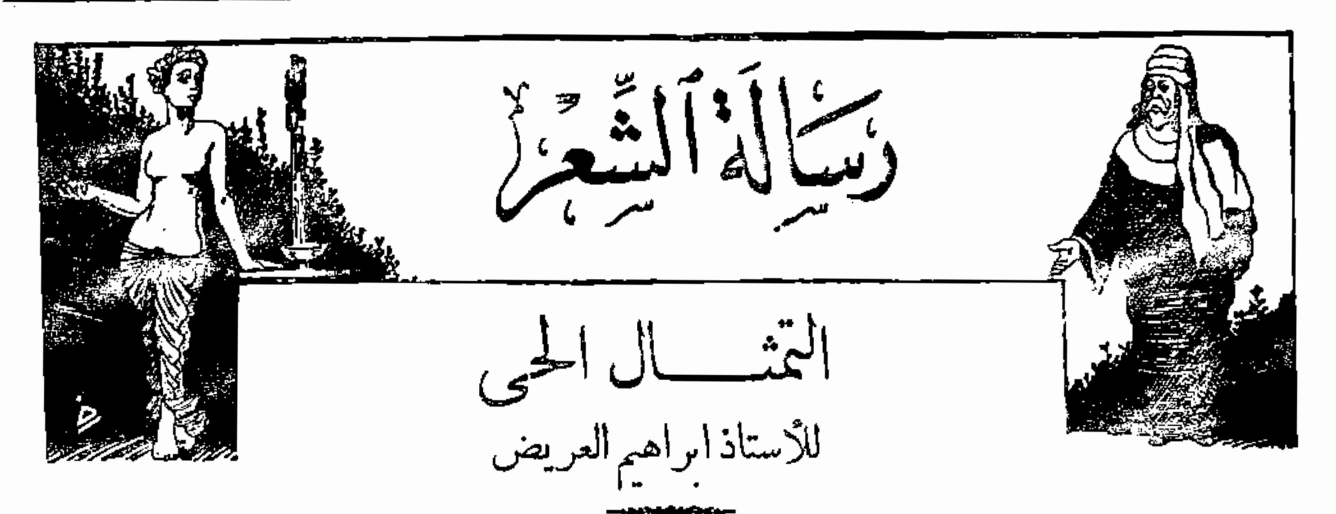
(١) أرسطو ٣٨٤ — ٣٢٢ ق.م. Aristo., Politik, B. 5, K. 7.

(٢) Beethoven, Erlkoenig.

(٣) Wagner, Tannhaeuser.

(٤) Wagner, Overtuere zu den Meistersingern.

(١) راجع Martin Luther, Tischreden 1566.



التمثال الحي

للأستاذ ابراهيم العريض

سكنتْ فى الطابقِ المُظ لمِ من دارٍ سويّه
غادةٌ لا تملكُ القو تَ ... وبالحسنِ غنيه
هيَ فى الأسمالِ لكنّ لها رُوحًا ذكيه
سلبتْها كلَّ شئٍ ثورةٌ إلا التقيه
تتلوّى كلّما أبـ صرتِ الدارَ خليه
أينَ عنها أبَواها فى ظلامِ الأبديه
وأخُوها جدّلتهُ فى الوغى كفٌّ شقيه
فثوى والعلَمُ الخا فِقُ يلوى بالتحيه
كيفَ لا تبكِى وهل أبـ قَى لها الدهرُ بقيه

خرجتْ تعثر فى الذيـ لِ إلى جار قريبِ
عاشَ بينَ الناسِ فى عُز لتِه مثلَ الغريب
وخطّ الشيبُ على جبْـ هتِه شبهَ النُدوب
أينَ في الدهرِ فؤادٌ لم يُروّع بالخطوب
وأتتهُ وهْوَ فى مع مَلِه جِدُّ دؤوب
ينحتُ الجسمَ من الصخـ رِ فيأتى بالعجيب
وراها وهى فى الأسـ مالِ تمشى كالُلغريب
ومنِ الجوعِ على الخدّ ينِ آثارُ شُحوب
فانثنى يرمقُ ذاكَ الـ حُسنَ فى صمتٍ رهيب

ودَنا من جسمِها المحْـ مُومِ لكن بفتُوّه
ما لها لم تضطرِبْ منـ هُ ولا خافت دنُوّه
إنّ فى عينيهِ .. لا غضـ بهما ... نورَ النُبوّه
مِن هُواةِ الحُسنِ للفنّ وإن غالَى غُلوه
وأحسّتْ كفّهُ تنـ تزعُ الثوبَ بقوه
فأرادتْ سِترَ نهدَيـ نِ حياءً ومُروه
« إنّنى أنثى .. ألا تشـ عرُ أنّى فوقَ هُوّه »
قالَ « كُفّى — أنتِ من شئ ىَ فى ظلِّ الأبوه
لو تجرّدتِ سَما الفنّ بعطفَيكِ سُمُوّه »

فرَمتْ ما كانَ لا يَسْـ ترها إلا قليلا
ثمّ قالت « ومَتى تُطـ عِمُنى » ... قالَ « أصيلا »
وجثَتْ بينَ يديْهِ فى تقرّبها طويلا
وهْوَ لا يُنكرُ مِن قا متِها إلا النحُولا
فانحنَى يمتحِنُ الجسْـ مَ فُروعًا وأصُولا
إنّ فى إطراقِها مُغْـ مِضةً شيئًا مَهُولا
ثمّ لمّا سَمِعتْهُ فاهَ بالحكم جميلا
نهضَتْ تبسِمُ فى الدمْـ عِ وقدْ سَالَ مسيلا
«هلْ لِهذا الحُسنِ أن يخـ لدَ بى جيلًا فجيلا »

وقفت عاريةً بيـ نَ التماثيلِ كدُرّه
تحملُ الثغرَ على الضـ حكِ وفى العينَينِ عبره

ومضى يقدرُ بالازْ ميلِ فى المرمرِ قدرَه
لَمْ تُحاولْ قطّ أنْ تَنْ فِيَ جِيدًا فتضُرَّه
لبثتْ فى وضعِها ذَ لكَ يَوْمًا مُستمِرّه
إنّهُ يعملُ للفنِّ ... ودَلْ فيهِ معرّه
هِيَ لولا الجوع لمْ تَرْ ضَ بأنْ تَصبِرَ صَبرَه
وهْوَ فى عالَمِهِ ... لَوْ يُدْرِكُ العالَمُ سِرَّه
نظرةً يُلقِي علَيْها وعلَى المرمرِ نَظْره

مالَتِ الشمسُ إلى الغرْ بِ وما زالَ مُجِدّا
واستحَالَ المرمرُ المسْ نُونُ حتى صارَ قَدّا
فانحنَتْ مِن كفِّها أنْ مُلَةٌ تُسْنِدُ خـدا
فانجَلى الصدرُ وفوقَ الـ صّدرِ شيءٌ يتحَدّى
واستدارَ البطنُ فى طَيِّـ ـتِه أحسَنَ جِـدا
قالَ «لولا الجُوع لم يَبْـ لُغْ مِن الغادةِ حدا»
ثمّ مَدَّ الراحةَ اليُمْـ نَى علَى الفخذَيْنِ مدا
فأطالَ الساقَ حتى شارفَتْ فى الكعبِ ضِدا
وبَرَاها قدمًا يَحْـ لُو لها أنْ تَستَبِدّا

ودَجا الليلُ ... فلم يُدْ قِ إلى الغـادةِ بالا
غايةُ الفنّانِ أن يَبْـ لُغَ بالفنِّ كمالا
فطَوَى الشَعْرَ على الرأْ سِ كموْجٍ يتوالى
فجَلا الجبهـةَ غرّا ءَ كمِرآةٍ تَـلالا
فأرَى لمحَةَ عينَيْـ نِ تُطيلانِ السؤالا
فلوى فى جانِبِ الأُذْ نِ مِنَ الصُّدغِ هِلالا
وأقامَ الأنفَ كالإبْـ رَةِ حُسناً واعتِدالا
ثمّ لـمـا جاءَ للثغْـ رِ رأى فيـهِ احتِمالا
قالَ «لو يفترُّ هـ ذا الثغرُ لازدادَ جمالا»
وإذا بالصوتِ. صوتِ الـ ديكِ صُبحاً يتعالى

تمّتِ الدُمْيـةُ لا ينْـ قُصها غيرُ الحِوارِ
فانثَنى يضحَكُ للغـا دةِ فى شِبْهِ اعتِذار
«أنظرِي صُنعَ يدى فهْـ وَ جديرٌ باعتِبار»
«إنّهـا معجِزةٌ خا لِدَةٌ مِثلَ النهـار»
ورآهـا لم تُحَرِّكْ شفَةً ... والجِسمُ عار
فدَنا منها وفى أضْ لُعِـهِ جَمْرَةُ نار
وإذا بالخُودِ فى مَوْ ضِعِها مِثلَ السَوارى
جسَدٌ مِن غيرِ رُوحٍ مُستمِرٌ فى انتِظـار
إنّمَا الثغرُ كما يَهْـ واهُ فى حالِ افتِرار

وانحَنى بينَ يدَيْها باكياً سُوءَ مآلِهْ
وطَوى حاشيةَ الثوْ بِ علَيها فى اعتِلالِه
«أنا أدعُوكِ. وهل يَسْـ معُ مَيتٌ صوتَ والِه»
«أنا أفديكِ. وهل يُجْـ دِيكِ شيْئِي فى ابتِهالِه»
ثمّ ألقَى نظرَةَ حا ئِرَةً نحْوَ مِثالِه
فرآهُ يُحدِقُ الطرْ فَ ولا يَرثِى لحالِه
نأتى فى اليأسِ أمراً لم يكُنْ قَطّ ببـالِه
إذ رَمَى قِطعةَ صَلْدٍ شوّهَتْ بعضَ جمالِه
ومضَى يعثُرُ بالشيْـ ءِ ويهذِى فى اختِبالِه

وقفَ العالِمُ ما بيْـ نَ الجماهيرِ خطيبا
قالَ «ترْوِي بعثةُ الشرْ قِ لنـا أمراً عجيبا
بينَمَا كانوا يجوبو نَ الصحارَى جَنُوبا
عثَرُوا فيها بتمثا لٍ سأجْلوه قريبا
يعلمُ اللهُ لئِن أُلْـ فِيَ فى الرّنْدِ مَعيبا
فهْوَ ما زالَ على العَيْـ بَةِ يستدِمى القلوبا
إنّهُ أجملُ تمثـا لِ لحسناءَ أُصيبا
وأزاحَ السِـترَ عنهُ فاستهلّ الكلُّ صُوبى
خلّدَتْ فى المرمرِ الصا لِدِ يدُ الفنِّ حَبيباً

«البحرين» إبراهيم العريض

بمناسبة المؤتمر البرلمانى الشرقى

يا لله لفلسطين !

للأستاذ احمد فتحى

مرحبًا بالنشيد بعدَ النشيدِ   يهبطُ الأرضَ مِنْ سَمَاءِ الخلودِ !
مرحبًا بالبيانِ أسْوانَ جمًّا   يبعثُ العزمَ فى الأباة الصيِّدِ !
مرحبًا بالروائع الغُرِّ ، تسعى   وامِضَ البرقِ فى الليالى السُّودِ !
فتيةَ العُرْبِ قد دعوتُم فلبّا   كُم على قدرِ ما استطاع قصيدى
غيرَ هذا البيانِ أخطأ جَدِّى   وكذا الشعرُ خصمُ تلكَ الجدودِ
نحنُ نشقَى به وتسعدُ دُنيا   تنتشِى بالنشيد بعدَ النشيد !
إنَّ للفنِّ نشوةً لا تُسامَى   أزهدتْ فى عُصارةِ العنقودِ !
كم غفلنا بها عن الزمَنِ العا   بثِ بالخلقِ فى فتونِ الوليدِ !
وصحونا على الأغاريدِ نشوَى   والورَى فى مناحةِ التنكيدِ
ما انتفاعى بقافياتٍ وِضاءٍ   تُشبهُ الدُّرَّ فى نظامِ العقودِ ؟
ليتَ هذا القريضَ يجرى جيوشًا   من كِرامٍ أصائلٍ وجُنودٍ !!
ينصُرُ الواهنَ الضعيفَ ويُوهِى   عزمةَ الباطشِ الغشومِ العنيدِ
لهفَ نفسى عليكِ يا حوزةَ القُدْ   دسِ ضُيِّعتِ فى البلاءِ الشديدِ
ما لأضيافكِ اللئامِ يلوذو   نَ بفرطِ الأذى ، وفرطِ الجحودِ
روَّعَ الشرقَ أنْ دهاكِ اقتسامٌ   هل يُباعُ السادَاتُ بيعَ العبيدِ

* * *

لا رعاكَ الزمانُ يا « وعدَ بلفو   ر» ولا فزتَ منهُ بالتخليدِ !
طرَدَاه الشعوبِ غالوا بلادًا   كانَ تاريخُها شبابَ الوجودِ
« أُرْشَليمُ » العُلَى ترامَى بها الخطـ   ـبُ ودوّى فى كلِّ مرمًى بعيدِ
لهفَ نفسى ، وشدَّ ما حزَّ فى النفْـ   ـسِ اقتحامُ الكلابِ غابَ الأسودِ
لهفَ نفسى على الصغارِ ترامَى   بهمِ اليُتْمُ فى زمانِ الكنودِ
لهفَ نفسى على نواحى البواكى   والخليُّونَ دونهم فى هجودِ !
لهفَ نفسى على الشيوخِ ضِعافًا   بين نارٍ مشبوبةٍ وحديدِ !
لهفَ نفسى على الملاحِ وكمْ فيـ   ـهنَّ مِنْ حلوةِ الفاتنِ رُودِ !
لهفَ نفسى لفاجعِ الخطبِ يمتدْ   دُ ذبولاً إلى ورودِ الخدودِ
لهفَ نفسى على المدامعِ تجرى   فترَوّى بها ظِماءُ البيدِ !!

* * *

مرحبًا بالوفودِ بعدَ الوفودِ   والحشيدِ النبيلِ بعدَ الحشيدِ
مرحبًا بالكرامِ مِنْ آلِ عدنا   نَ اطمأنتْ جموعُهم فى صعيدِ
مرحبًا بالخفافِ نحو المعالى   والبهاليلِ فى سخاءٍ وجودِ
دونكم مصرَ فانزلوا من رُباها   كلَّ روضٍ ، وكلَّ ظلٍّ مديد
وارشفوا السلسبيلَ مِنْ نيلها السَّمْـ   ـحِ خصيبِ الضفافِ عذبِ الورود
وانعموا بالنسيم فى صفحتيهِ   إذ يحييكمو بثغرٍ برودِ !
شاوِروا فتيةً بمصرَ تسامَوا   لذُرَى المجد ، فى كفاحٍ مجيدِ
عاونوهُمْ على بقـاءِ فلسطيـ   ـنَ ، بمنجًى مِن فاجعِ التهويد
مهبطُ الوحيِ والنبوّاتِ أولَى   مِنْ حماةِ التراثِ بالتأييـد
أجمِعوا أمرَكم على نصرةِ الحـ   ـقِّ تعيدوا جلالَهُ مِنْ جديد !

* * *

آهِ يا أورشليمُ لو كنتُ أستطيـ   ـعُ لحطّمتُ ما أرَى مِن قيودِ
علِمَ اللهُ كم أرِقتُ الليـالى   لكِ ، بينَ الدموع والتسهيدِ
مُستطارَ الجنانِ أدعو لكِ الله   بقُربِ الخلاص والتسديدِ
وأصوغُ القريضَ فيكِ عقودًا   مِن بيانٍ ندٍ ودرٍّ نضيدِ !!

« القاهرة »   احمد فتحى



الدكتور زكي مبارك والشريف الرضى

روى الأديب المشهور الدكتور زكي مبارك في مصنفه (عبقرية الشريف الرضى) هذا البيت للرضى :

والحظوظ البلهاء من ذى الليالى … أنكحت بنت عامر من ثقيف

ثم قال معلقا : « لما ظهر ديوان زكي مبارك اعترض بعض أدباء العراق على هذا البيت :

لم تنسنى فتنة الدنيا وزينتها … ما فى شمائلك الغراء من فتن

وقالوا لا توصف الشمائل بأنها غراء ، وإنما توصف بأنها غر ، وأطالوا الجدل فى مجلة أبوللو ، واشترك الأب أنستاس فى الجدل ، وعارضنا معارضة شديدة فى منزل الدكتور بشر فارس ، والآن نرى الشريف يصف الحظوظ بأنها بلهاء لا بله ، فلينقل العراقيون المعركة إلى شاعر العراق »

قلت : ألا يرى الدكتور أن فى البيت خطأ ناسخ أو طابع وأن الرواية الحق هى :

وحظوظ البلهاء من ذى الليالى … أنكحت بنت عامر من ثقيف

فاذا ثبتت هذه الرواية — وهى عندى ثابتة — فقول حضرة البحاثة (الأب أنستاس مارى الكرملى) فى (فعلاء أفعل) صفة لجمع — هو القول . وظهير القسيس الفاضل فى مذهبه هذا — كتاب الله وحديث نبيه (صلوات الله وسلامه عليه) والأقوال العربية الموثوق بها قاطبة

والأب أنستاس هو أول من نبه على هذه النكتة اللغوية المهمة فى هذا العصر

فى القصيدة التى منها ذلك البيت هذان البيتان المحكمان :

أمهل الناقصون واستعجل الدهـ … ـر بسوق للفاضلين عنيف

من يكن فاضلا يعش بين ذا النا … س بقلب شجو ، وبال كسيف

القارىء

مكتبة التلميذ

أخى الأستاذ الزيات

أقدم إليك وإلى قراء الرسالة ما يأتى :

قد يتفق لبعض مفتشى اللغة العربية أن يلاحظوا أن مكتبات المدارس الابتدائية والثانوية لا يوجد فيها من الكتب العربية غير المراجع أو ما لا ينتفع به فى الأغلب غير الأساتذة وكبار الطلاب

وقد فكرت مرات فيما ينتفع به التلاميذ والطلاب من أطايب الأدب الحديث ، ولكنى خشيت ألا أشير بغير الاعتماد على مؤلفاتى ومؤلفات أصدقائى ، فما رأيك إذا استشرنا أفاضل الأدباء من قراء الرسالة فى اختيار خمسين كتاباً من الأدب الحديث تزود بها مكتبة التلميذ فى المدارس الابتدائية والثانوية ؟

أرجو أن يتسع المجال لقراء الرسالة ليجيبوا فى نزاهة وإخلاص ، فقد يكون فى أجوبتهم ما ينتفع به المدرسون فى تكوين مكتبة التلميذ

زكى مبارك

حول كلمة اللقاء

صديقى الأستاذ الجليل صاحب مجلة الرسالة :

تحية واحتراماً . وبعد فانى أحسبك لم تنس بعد كما لم ينس الأستاذ الفاضل باحث الفالوذج فى الرسالة أنه سألنى بحضرتك من شهر مضى تقريباً عن كلمة « اُللقاء » التى جاء بها أبو العلاء فى كلام له فى كتابه « الفصول والغايات » ثم فسرها بالفالوذج وأنه متشكك فيها ، فذكرت له أنها وردت هكذا فى نسخة الأصل وهى نسخة جيدة وأنى طلبتها فى كل مظانها فلم أجدها . وقلت له إن أبا العلاء ربما وجدها فيما وقع له من الكتب التى لم تصل إلينا ، ورجحت أنت صحتها للمجانسة اللفظية بين كلمتى « بُلق »

و« لقاء » التي كان أبو العلاء يحرص على أمثالها

هذا ما عندي، وقد كنت أنتظر منه أن يقول (فلست بمنكره في يوم من الأيام) ثم يعقب عليه بما يشاء

محمود حسن زناتي

حول تيسير قواعد الإعراب

حضرة الفاضل الأستاذ « أزهري »

نعم يا سيدي الفاضل، إن من مميزات عصرنا الحاضر هو كما تقول: « التهم التي تكال جزافاً » دون روية ولا إمعان. وهذه أيضاً من تأثير السرعة التي اقتبسناها ولم نحسن استعمالها. فان النفوس التي تتهمها « بالجهل والجمود والجحود » تفهم السرعة في المواصلات والسرعة في الادراك — وسرعة الخاطر —

ولكنها قاصرة عن فهم السرعة في الحكم والدرس والاصلاح خصوصاً إذا تعلق هذا الاصلاح بمستقبل قواعد لغة عدة شعوب وملايين من الناس.

إن « نفسي الجاهلة » لتأخذ على أستاذها الفاضل سرعة الحكم؛ فقد كان من السهل عليه لو تأمل قليلاً أن يدرك أن ليس في ردي عليه استفزاز ولا خلط. ولكني نسبت ما في القواعد من تعقيد وصعوبة إلى المدرسين القائمين بتلقينها للنشء لا إلى نقص في القواعد نفسها. ثم أخذت عليه تغيير الاعراب وبقاء القواعد كما هي، وفي هذا من الخلط والتعقيد ما هو بريء من التيسير. فاذا قلنا مثلاً إن حرف الجر مجزوم وجب أن نحذف من كتاب القواعد أن الحروف مبنية. وإذا سلمنا أن الفعل الماضي منصوب وجب حذف باب « بناء الأفعال ». وهكذا يجب تغيير وحذف كل القواعد التي لا تتمشى والأعراب الجديد. وإن كان ذكر النون في جمع المذكر السالم « حشواً لا داعي إليه » فلا أرى ما يمنع حذفها. والمعقول أن ما يعتبر حشواً يمكن الاستغناء عنه. وكما قلت سابقاً إن عملية التيسير أخطر من أن تتم بهذه السرعة، وإننا مسئولون عما نأتيه من تغيير في قواعد اللغة التي ثبتت أجيالاً مضت ولم نثبت بعد خطأها ولم نأت بأحسن منها.

لقد طالعت أبحاث أستاذنا المحترم بكل تؤدة وإمعان، ثم بينت لكل اعتراض سبباً منطقياً يقره العقل والفهم. فأين إذن الخلط والسهو من كلامي هذا ؟؟ ولو تفضل الأستاذ المحترم وراجع مقالي السابق لوجد أنه مختص بالبحث في عملية التيسير من ناحية صلتها بالنشء. ولا يخفى على الأستاذ الفاضل أن فكرة التيسير لم تنشأ إلا لتسهيل درس قواعد اللغة للطلبة بعد أن لوحظ شدة ضعف المتخرجين في الدراسة الثانوية والجامعية.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أشكركم لما نسبتموه إليّ من جهل. فانه لفخر لي أن يتهمني عالم جليل بالجهل.

أمينة شاكر فهمي

من المرحوم زكي باشا الى المرحوم الرافعي

كنت رأيت على مكتب المرحوم الرافعي في سنة ١٩٣٣ طائفة من أوراق مخطوطة حدثني هو عنها أنها معجم يؤلفه زكي باشا وبعث به إليه يستعينه عليه؛ وقد وقعت لي الرسالة الآتية بين ما خلف الرافعي من رسائل أصدقائه، بخط المرحوم أحمد زكي باشا، فرأيت أن أنشرها على قراء الرسالة. وهذه الرسالة مكتوبة على ورقة مستعملة ممزقة الأطراف، يظهر أنها كانت غلاف رسالة إليه عليها خاتم (حلب)، والمعروف عن المرحوم أحمد زكي باشا أنه كان يكتب ما يريد أن يكتب على ما يتيسر له من الورق ولو كان ورقة ممزقة من سلة القمامة!

سعيد العريان

عزيزي الأستاذ الرافعي:

كنت كتبت خلاصة وافية عن حرف الألف لوضعها في أول باب الهمزة، ثم عنّ لي أن أرسلها لرجل في حلب عرفت تعمقه في النحو، وإذا به أعادها إليّ مع مقالة أخرى تدل على شدة تقعره، وفاته أن الغرض هو الالمام بكل أحوال الألف بلا شرح إلماماً قاموسياً

أرجوك نظر المقالين واختيار أحدهما مع التنقيح أو التصحيح أو الحذف والزيادة كما تراه، وإبقائه عندك إلى حين رجعتي من الاسكندرية وسلام الله عليك من المخلص

أحمد زكي

تدريس اللغة العربية في فرنسا

جاء في بلاغ من وزارة التربية الوطنية أنه أنشئ فرع لتعليم اللغة العربية في مدرسة « سان لوى لى جران » في باريس ومدرسة « بيريه » في مرسيليا

وجاء في هذا البلاغ: أن اللغة العربية سبق أن قبلت



عرض وتحليل

هكذا أغـــنى

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بقلم الأستاذ اسماعيل كامل

عند ما أخرج الشاعر الأديب محمود حسن اسماعيل ديوانه (أغاني الكوخ) وكان لى حظ الاشتراك فى حفلة تكريمه كان أهم ما دارت حوله كلمتى التكريمية أن الشاعر صادق الحس مشبوب العاطفة قوى الايمان ينتزع الأخيلة من أطواء وجدانه فى غير افتعال أو تعمل ، وأنه يمثل الريفى المؤمن الصادق الأحاسيس الذى يقبس من جلال المناظر الطبيعية خير ما تختلج به نفسه الجياشة بحب كل ما هو طبيعى لا أثر للصنعة الزائفة فيه

وأخيراً جاء ديوانه الثانى (هكذا أغنى) صورة صادقة تؤيد ما ذهبت إليه فى كلمتى الأولى وتعزز تلك النظرة الصائبة التى لم تخب فيما خرجت به من دراسة شاعر الشباب النابغة

وأنا فى هذا البحث العاجل أحب أن أنتزع من الديوان الأخير صوراً فاتنة تؤيد ما ذهبت إليه يوم قام الأدباء من الشباب يحتفلون بذلك القبس الباهر الذى كشف عن درر الشاعر الفذ ميزة تفرد بها الشاعر محمود ولم يجر فيها على منوال كثير من شعراء كل مناسبة يأتى من ورائها الغنم والفائدة ! تلك ميزة الوفاء لنفسه والاخلاص لمشاعره والاعتداد بشعره ؛ فلم يكن يوماً بوقاً للظروف أو أداة للملابسات ، بل ظل الشاعر الرفيع الاحساس المترفع بشعره أن يتلمس جوانب النفع ووجوه الاستغلال أينما ساقتهما الأقدار أو دفعت بهما الرياح

وفى ذلك يقول الشاعر لمليكه :

للشـــاعرين بلاغة فضفاضة حشدت بلفظ فى الحلوق مجلجل
وأنا الذى شعرى نفاثة مهجتى سكبت جداولها بهمس السنبل
يوم الفخار سنلتقى ... أنت العـلا
وأنا الصدى فى ظل عرشك ! فاصغ لى

أنظر إلى محمود الشاعر الريفى الذى يلوذ بأذيال الخمائل يقتطف منها شذا الزهور ، ولحون الطير ، ونور الصباح ، وعبير الضحى ، لتعينه على الهتاف للمليك إن عاونته تلك العوامل كلها على أن ينتمى لبلابل الخلد السواجع

وانظر إلى ذلك الشادى من أين يقبس قريضه.. من الطبيعة الوارفة ومن الايمان الصادق :

شاديك من قصب الفرادس نايُه ومن السنا والطيب ُعل عناؤه
ومن الصِّبا نهلت حلال أراكه سجواء ، تالجها غفت أنداؤه
ومن الطفاوة فى أصيل خاشع سجدت على زهر الربا أضواؤه
ومن المساجد هينمت تحت الدجى سوفيُّها نهل الغيوب صفاؤه
ومن الشعاع المستهام بقبلة فى النيل طهرها هواه وماؤه
ومن السنا الرقراق فى قدح الضحى
أغرى النـــديم فولولت صهباؤه

وشاعرنا كثير التبرم بالقلوب الغوادر وما جبل عليه الناس من فضول وتهاتر ، ولكنه يرتد ساخراً هازئاً لاعتداده بنفسه وعرفانه بقيمته ويفيض من حنانه على (الغراب) قسيمه فى الحظوظ وصاحبه فى الجدود وقرينه فى تحامل الناس الظالم دون إثم يبرره :

على قدم المساواة مع اللغات الأجنبية لا فى امتحانات البكالوريا والليسانس فقط بل فى امتحانات المدارس العسكرية كمدرسة سان سير وغيرها

والأهمية المتزايدة لأفريقيا الشمالية فى الاقتصاد والدفاع الوطنى وحاجة فرنسا لأن تنشئ معها علاقات تزداد توثقا مع الزمن ، كل ذلك يعد من الأسباب التى تبرر التدابير التى اتخذتها وزارة التربية

وأنت — كثلى — هارب من فضولهم
جوابك للأكوان : إنى ساخر !
فدعهم يلوكون الحديث ، وأسغ لى
فما منهم للسمع إلا الهواتر
سلاماً قسيمى فى الحظوظ .. وصاحبى
وقد أرخصت عهدى القلوب النوادر
عشقتك منذ النخل مد ظلاله
علىّ تنادينى وبه وتباكر

ويكاد يتفرد الشاعر محمود بقوته الهادرة وفتوته الثائرة فى كل ما يقرض من النظم حتى حين يتحدث إلى موسيقى النقوش

ابعثى اللحن بدوّى كيفما شئت وساء
لن ترىْ فى الأرض سمعاً يشتهى هذا الغناء
غير سجنى فهو من دنـ ـياه فى دنيا فناء

لكنه كغيره من الشباب إذا أحب وعف واعترضت العقبات سبيله راح يتفجع ويتوجع وإن كان لا يسف إلى درك التوسل والاستعطاف، بل يهدد ويتوعد.. يهدد بالجنون والانتحار والفناء

وانظري جذوة الهوى فى خيالى وشحوب الفناء فى نظراتى
وتهاويل من بقايا جنون خلفتها الأحزان فوق سماتي
وبريقاً من الشباب المولى كهشيم الريحان فوق الرفات
منية أزهقت وأخرى تمايا والبقايا فى الصدر منتحرات

***

أسرعى قبلما تغيب الأمانى فى دخان الهموم والحسرات
وتصيرين فى الهوى قصة الغد ر وأسطورة على نغماتى
أسرعى قبل أن تموت الأغانى فتناجيك ، بعدها مرثياتى !

وما أحسب الشاعر ينتوى ما يهدد به ولكنه يتوعد حبيبه بشر ما ترتاع له النفوس حتى ينطلق من محبسه ويثور على أغلاله وإلا ما قال بعدئذ :

حجبوك عن نظرى وخلوا مهجة حيرى يجرعها الهوى أتراحه
وأنا الذى سأظل باسمك هاتفاً حتى يمد الموت نحوىّ راحه !

***

حجبوك هل حجبوا انفعالة عاشق أضرى الغرام جلاده وكفاحه ؟
متولع بهواك ما أغرى به بينٌ ولا فلّ الفراق سلاحه

وهو ليس دائم الشكوى والنواح بل طالما ركن إلى الصمت القاتل وكبت مشاعره حتى لا يستذله الضعف وبعد أن صدف الناس عن الشكوى وتغافلوا عن الشاكين :

والناس .. لا ناس إذا خلجت عينى .. كأنى فى الحياة تمم
صدفوا عن الشكوى فلا أذن تصغى لما رتلت من نغم
حسبوا أنين القلب فلسفة عبثت بها أنشودة القلم
فتغافلوا عنى ولو علموا شربوا صباب الدمع من ألمي

أنت عاتبتى على الصمت . . . فاسمع
نغمات الجراح تحت الجنوب
أنا همس يموت فى قلب ناى نبذته الرياح خلف الكثيب
أنا صمت الكهوف يهتز للوحى إذا حل فى السكون الرهيب

***

وقصارى مايقال فى شاعرنا الفذ أنه ينتزع مادته فى جميع الاتجاهات والأ[illegible] من الطبيعة الساحرة فى سمتها وشجوها وتغريدها لا من التأثر الدراسى أو الاطلاع الفردى وحدهما ، بل إنى كنت مع بعض الواهمين قبل أن أعرفه فى أنه قد قبس كثيراً من معانيه البكر من شعراء الفرنجة الطبيعيين أمثال وردثورث وشيلي وبيرون .

وشاعرنا قد جمع فى وثبته بين القديم والجديد : فهو يمثل جزالة الشعر العربى الرصين وقوة أسلوبه ومتانة بنائه، كما يمثل الجديد فى سلاسة معانيه، وطرافة موضوعاته وحداثة مراميه، فكان وسطاً حبيباً بين المهدين ، وروحاً فياضة بين الجيلين وعلماً فرداً فى توسط الاتجاهين .

وهو نسيج وحده فى أغلب الموضوعات التى يطرقها لا يشبهه فيها شاعر القم إلا فى الموضوعات الاجتماعية التى يظهر فيها تأثير البيئة الواحدة فى جميع الأقلام ، وفى هذا يمثل الشاعر بيئته وما يعتمل فى أطوائها وما يشيع فى أجوائها خير تمثيل .

وقبل أن أختتم كلمتى العاجلة أود أن ألمس المدى الذى بلغه الشاعر فى ديوانه الأخير والخطوة الواسعة التى خطاها فى أغانيه الأخيرة بعد أن انقضت أعوام ثلاثة على ديوانه الأول (أغانى الكوخ)

إن من قرأ للشاعر فى ديوانه الأول حديثه الفطرى عن (حاملة الجرة) ثم يقرأ قصيدة الرائعة عن (الغراب) فى ديوانه الأخير يلمس عمق التأمل وغور الاستيعاب الوافدين على شعره الجديد وقد أضفيا على قريضه القوة والمضاء. كذلك يلمس القارئ فى ديوان الشاعر الأخير مدى توسعه فى الموضوعات الاجتماعية وشبوب عاطفته فى الناحية الغزلية ، وذلك الطهر الذى يهيمن على مشاعره

وليس ثمة ما أعيبه على الشاعر غير تلك الرهبنة وذلك المذهب الكنسى الذى يصبغ أكثر قصائده ، ولكن العارف المشرف على



شيء من لا شيء

باكورة الموسم المصرى لاستوديو مصر

عرضت سينما استوديو مصر فى الأسبوع الماضى أول أفلامها المصرية للموسم الحالى وهو «شيء من لا شيء» الذي حدثنا عنه قراء الرسالة في مناسبات كثيرة بما جعلهم يوقنون قبل رؤيتهم إياه من أنه سيكون فلماً من الأفلام الممتازة دون ريب ...

وفى الأسبوع الماضى عرض الفلم فكان ممتازاً رائعاً حلواً فكرة جديدة ... إخراج جديد .. تمثيل جديد .. ملابس فخمة ... غناء عذب . ولعمرك ماذا يريد الانسان فى فلم واحد أكثر من اجتماع ذلك كله بعضه ببعض ؟ إنه فلم يستحق الاستوديو من أجله تهنئة من أعمق الأعماق

واحمد بدرخان بهذا الفلم — حتى مع انعدام غيره أو انعدام المؤهلات يدخل فى زمرة كبار مخرجينا بحق اذا [illegible] قد تسنى له أن يخرج هـذا الفلم ، وما دام قد تسنى له أن يخرجه بهذه الطريقة الناجحة

خلاصة قصة الفلم

جيشان يلتحمان فى عراك ، كلاهما من جند المسلمين ، يبدأ الفلم بفلول الجيش المنهزم وأحدهما يندب كتفه الكسير وكرشه المبقور وأمعائه الممدودة أمتاراً على الرمال ...

ويفتح المنظر التالي على ملك الجيش الغالب وهو يستقبل قواده الظافرين ، ويسألهم — بين ما يسألهم — عن الغنائم والأسلاب والأسرى، ويفهم فى النهاية أن هناك أسيرة واحدة، أما الرجال فكثيرون . ويتحدث الملك إلى قادته : ماذا يفعل بهم؟ فبق الرأى فى النهاية على (ترحيلهم) إلى جزيرة المنفى . وفي هذه اللحظة يرى الجمهور المطربة المحبوبة نجاة على لأول مرة ، ويرى بعدها الأستاذ عبد الغنى السيد ، وهو معصب الرأس من الجراحات يغنى ويغنى معه زملاؤه الأسرى وهم يدخلون المركب التى أقلتهم إلى حيث أريد لهم . . . ويحار الملك فى الأسيرة ماذا يفعل بها ، وإلى من يقدمها ؟

وإذ ذاك تحدث مناظرات ومقارعات بين الحاضرين كلها مسكاهات لطيفة ، وأسمار لذيذة ، وينتهى الأمر بأن يقرر الملك تزويج الأمير عنتر منها ، وعنتر هذا هو القائد الجديد للجند ، وشخصية عنتر هذه من أهم الشخصيات الفكاهية فى الفلم

وينادى الملك الأسيرة وهى ابنة أخيه ويزف إليها خبر تقريره تزويجها من الأمير عنتر ، فترفض وتثور وتعود إلى منامها والأمير يهدر ويزمجر ، ويهدد ويتوعد . . . ويقول لها بأنه إزاء ذلك لا يسعه إلا أن يزوجها من أحقر

حياة الشاعر والفارس لبيئته لا يعجب لتلك القوة المسيطرة عليه فقد أخذت على الشاعر الصديق فى حديث لى معه هذا المنحى الغالب على تأملاته ؛ ولكننى عرفت أن في بلدته (النخيلة) تنهض الكنيسة على كثب من المسجد ويبعثان فى النفس الطاهرة رهبة الايمان والتقديس

فاذا أضفنا إلى ذلك نشأة الشاعر الريفية الساذجة أدركنا عمق التأثير الشخصى إلى جانب التأثير العام فيما يصدر من القريض

وليس للشاعر محمود نوع خاص من الفلسفة . [illegible] يرى الفلسفة فى ذلك التأمل العميق فى أسرار الحياة أينما وقعت عليها العين الفاحصة والشعور الملهم

بقى أن أقول صراحة إن ديوانه الأول (أغانى الكوخ) كان يمثل الفن الرفيع وحده، فلم يقحم فيه الشاعر تلك المراثى التى حشدها فى ديوانه الأخير ، أو تلك السياسيات التى اندفع فيها نتيجة لشعوره مهما كان صدق هـذا الشعور ، فما هى بالموضوعات التى تجمع بين دفتى ديوان لتبقى مدى الأحقاب والأيام

اسماعيل كامل

شخص فى المملكة وهو ذلك الأسير الشاب . . .

وتنساق حوادث الرواية أمام المتفرج بعد ذلك وتتعرف الأسيرة إلى الأسير الشاب ذى الصوت الجميل . . وبعد صد وطول عدم اكتراث ، تقع فى حبه ، أو بالحرى فى حب صوته . ويغتاظ الأمير عنتر ، فيقوم بمحاولة أخرى ويهبط على الأسيرة فى منامها ويكاد أن يعتدى عليها هو ومن معه من الجند ، لولا أن الأسير الذى هو زوجها يحضر فى الوقت المناسب ويعمل فى الأمير ورجاله سيفه ، فيقتل أحد رجاله ويجرحه هو جراحاً بالغة . . .

ويقدم الأسير للمحاكمة ، وهى محكمة من أغرب المحاكم التى سمع بها الناس من قبل . . .

ويرفض المتهم الدفاع عن نفسه ويسكت كل من يحاول الكلام فى صالحه ، فلا يسع هذه المحكمة إلا إصدار الحكم عليه بما يقتضيه القانون . . .

والجمعية السرية . . لا ننس الجمعية السرية . . ولغتها (المختلطة) ورئاستها البارعة فى الخوف والوجل . . فأنها من ألطف وأندر ما ملئت به القصة . .

وعند ما تنتهي حوادث تلك القصة التى لم تراع فيها وحدة زمان أو مكان أو نظام ملابس أو لهجة كلام أو خلافه . . . لما تنتهي هذه الحوادث يشاهد المتفرج رجلا بلدياً يسقط من فوق الفراش هو وزوجته وهى تناديه ليستيقظ ويكون فى حلم قد وصل إلى حد قوله (ليسقط . . .)

الناحية الفنية

وبعد فهذا هو ملخص القصة . وقد سبق أن قلنا أن الفلم من وجهه العام ناجح ومشرف لاستوديو مصر ولمخرجه الأستاذ بدرخان ، ولكن لنا ملاحظات عليه.. على رغم أنه حلم ليلة صيف.. وبرغم أن المفروض فيه هو أنه (تخريف وهلوسة)

من هذه الملاحظات أن دورى نجاة على وعبد الغنى السيد لم يكونا ظاهرين ولا مفهومين فى بادىء الأمر . . وكان كلام مقطوعاتهما الثنائية ضعيفاً كما كان التلحين أضعف وأكثر ارتباكا . . . ولسنا ندرى هل كان ذلك من اللحن أم من الممثلين . .

ومن هـذه الملاحظات أن القصة كلها كانت مسجوعة . . . والسجع على الشعر يستولى من المشاهد ـ على جانب كبير من انتباهه . . ومن هنا يخسر الفيلم هذا الجزء من انتباه القارىء دون مبرر . . هذا إلى أن أغلب السجعات كان بارداً سخيفاً . .

ويدافع بعضهم عن هذا بأن المقصود من هذه السجعات السخيفة هو الاضحاك . . ولكن هذا لايعد دائماً قدر مايعد اتهاماً . . فان الفلم لا يصح أن يكون مصدر مرور الناس منه احتواؤه على سخافة وحسب . .

ولا تحضرنا الآن بقية الملاحظات فوعدنا بها عدد تال ، ونكرر فى نهاية هذه الكلمة ماسبق أن ذكرنا أكثر من مرة من أن هذا الفلم ـ على رغم الأخطاء التى به ـ يعتبر فتحاً جديداً فى عالم الأفلام المصرية ، ويستحق استوديو مصر عليه كل تهنئة

سالم ينتهى من أجنحة الصحراء

انتهى الأستاذ أحمد سالم فى الأسبوع الماضى من تصوير آخر (ديكورين) فى فيلمه الجديد (أجنحة الصحراء) وقد كان أحدهما كبيراً وفخماً بدرجة لم تعرف من قبل فى الاستديوات المصرية . ورآه مخرجون مصريون كثيرون فهنئوا الأستاذ سالم بتوفيقه فى بناء هذا المنظر . والصحفيون يعترفون بأن القراء سوف يشاهدون عجباً فى فلم سالم هذا عند ما يعرض فى منتصف الشهر القادم

جلال يعمل . .

أبلغنا زميل كريم أن الأستاذ احمد جلال قد انتهى من كتابة السيناريو الجديد للفيلم الثانى لشركة لوتس فى هذا الموسم والحيرة الآن ، أو المفاوضات ، دائرة بين آسيا وبين الزميل حول اختيار الاسم الصالح . . وقد رددت زميلات أسماء غريبة ، نفتها لنا السيدة آسيا بكل شدة . : والمعروف أن تصوير هـذا الفيلم الجديد يبدأ فى أوائل الشهر القادم . . .

